نداء الروح

رواية

أسامة عبد الحميد

ديوان العرب
للنشر والتوزيع

دار ديوان العرب للنشر و التوزيع – مصر - بورسعيد

اسم العمل : نداء الروح

اسم المؤلف : أسامة عبد الحميد

الجنسية : مصر

التصنيف الأدبي : رواية

الطبعة الأولى : ٢٠١٩

الترقيم الدولي : ٢ – ٩٦ - ٦٧٠٧ – ٩٧٧ - ٩٧٨

رقم الإيداع : ٢٦٣٥٥ / ٢٠١٩

تدقيق لغوي : هبة ماردين

تصميم الغلاف : محمد وجيه

المدير العام : محمد وجيه

تليفون : ٠٠٢٠١٢١١١٣٢٨٧٩

الإهداء

إلى تلك المرأة الفريدة التي لازالت صامدة تقاوم الدنيا وتتحمل متاعبها تباعًا بقلب صبور واثق فيما يخبئه الله، إليك أمي إلى صغيرتي الجميلة و نبع طاقتي في هذه الدنيا الواسعة، إلى تلك الفتاة التي التقيتها تائها في مكان وزمان تاهت هي فيهما كذلك في الوقت نفسه فرافقتني في طريق شاق نحو النور الذي ينتهي به ذلك النفق المظلم حيث بداية الحياة، لازالت أناملي ترتجف حين تكتب إليك ولازالت رجفة اللقاء الأول تصيبني حين يتبادر إلى ذهني شيء يخصك، لازلت تعنين لي الكثير ولازال الحب هو الحب الأول بفضلك.

إلى كل من آمن بحروفنا اليافعة فساند و دعم وانتقد وقيم فقوم ومهد طريقًا لعظامنا الناشئة لتعتلي منبرًا تطرح من خلاله فكرة أو تقدم عن طريقه ومضة قد تلمس في قلب أحدهم مكانًا عجز غيرها في الوصول إليه، إليكم.....

أسامة عبد الحميد

ظلامٌ قاتمٌ يحيط بالمشهد من جميع الجهات وسكونٌ تامٌ لا يشوبه سوى بعض الأناتِ المتقطعة لشخصٍ يتألم، تكاد معه تفقد ما تبقى من أحلامك وتخور كافة قواك شيئاً فشيئاً وتتبخر كلَّ مقاومتك وآخر ما لديك من آمال في النجاة، فتستسلم لكلِّ شيءٍ وأيّ شيءٍ من حولك ويصبح الموت أقرب إليك من أي وقتٍ مضى.

كان ذلك تحديداً هو الشعور الذي تنامى إلى نفسه حينها بعدما اشتد به الإعياء في ذلك المكان الموحش بجسدٍ مقيدٍ قد أنهكته فنون التعذيب التي يتلقاها بشكلٍ يومي في قبو ذلك المنزل الموحش، لكنّه ألقى بحالة الإعياء كلها خلف ظهره فجأة وانتفض حين أتاه من الأعلى صوت بكائها وتوسلاتها التي يحفظها جيداً بقلبه قبل أذنيه...

- أتوسل إليك يا دكتور أعده لي، ليس لي سواه في تلك الدنيا الواسعة.

- عليكِ أن تنفذي ما طلبته منكِ بالحرف الواحد وإلّا فلن ترينه مجدداً لبقية حياتك.

استجمع هو آخر ما تبقى من قواه وصرخ باسمها بأعلى صوته، توقفت هي عن البكاء فجأة كأنّما تنامت إلى أسماعها نداءاته، لكن بتلك المساحة الشاسعة التي يبعد

بها هو بالأسفل عن فتحة القبو وبكلِّ تلك الأجهزة والمعدات الكهربائية المشغلة بالأعلى حيث عيادة ذلك الطبيب، كان من المستحيل نظرياً وعملياً أن تصل صرخاته إليها، فقط بعض الرجفات والانقباضات المفاجئة بقلبها هو ما أرغمها على التوقف لبعض الوقت والإنصات.
في النهاية قررت أنَّها لن ترضخ لابتزازاته الدنيئة مهما حدث وخرجت من عيادته باكيةً مقهورةً، لكنها ما أن جاوزت الباب حتى عادت من جديد وقررت أن تقدم إنسانيتها ثمناً لحرية روحها التي سلبت منها ولم تعد!

.....

في إحدى المناطق السكنية الهادئة بمدينة القاهرة قبيل طلوع الفجر بلحظات قليلة، كانت تلك البناية العالية التي ينتهي بها الشارع الرئيسي هناك قد اتشحت جميع شرفاتها ونوافذها بلون الظلام القاتم عدا تلك النافذة الصغيرة المطلة على غرفة "يوسف"... كانت النافذة ما تزال تظهر من خلفها أن أحدهم هناك لم ينل منه النوم بعد.

- ليس الآن يا عزيزتي، سأبقى لبعض الوقت.

(كان ذلك رد يوسف على محاولات أمه المتكررة لحمله على النوم)

يوسف شابٌّ في الحادية والعشرين من عمره، طالبٌ بالسنة الأخيرة بكلية التجارة، يستمتع بما تبقى من إجازته الصيفية الأخيرة قبل نهاية حياته الجامعية.

كان يوسف قد عاد لتوه تلك الليلة من إحدى المرات التي اعتاد فيها الذهاب للعب كرة القدم برفقة أصدقائه، انتهى من حمّامه سريعاً ثم أعد فنجاناً من القهوة وانطلق مباشرةً نحو مكتبه ليمارس هوايته في الرسم، لم تكن رسمته تتغير في كلِّ مرةٍ، تلك الفتاة الجميلة ذات الابتسامة الهادئة نفسها التي لا تكاد تخلو منها لوحاته ولا تكاد تختلف في كلِّ مرة سوى في بعض تعبيرات

وجهها وملابسها وطريقة لف شعرها، عدا ذلك فجميع لوحاته متطابقة إلى حدٍ كبيرٍ.

كان لتلك الفتاة قصة مع يوسف تعود لعدة سنوات مضت، فقبل عدة أعوام وبإحدى تلك الليالي الهادئة التقى يوسف بفتاته في المنام للمرة الأولى، كانت جميلة بشكل لا يغتفر... فاتنة بطريقة لا يمكن تجاهلها رغم عينيها الساحرتين اللتين توحيان بالبراءة والحداثة.

التقى بها يوسف ذات مرةٍ في إحدى المكتبات العامة التي يعتاد التواجد فيها، تعلق قلبه بها للوهلة الأولى واضطربت نبضاته لمجرد وقوع عينيه على وجهها، قبل أن يستيقظ في النهاية ليدرك أنَّ كلّ ما رأى للتو لم يكن سوى أحد منامته السعيدة.

لكن الفتاة ووجهها لم يفارقا أحلامه من ليلتها وحتى تلك اللحظة، التقى بها مراراً في أحلامه وتحدثا معاً أحاديثاً طويلةً، تكوّنت بينهما علاقةٌ غريبةٌ تعلوها الصداقة في ظاهرها ويشوبها شيئاً من ذلك التعلق الذي يجمع بين قلب الشاب والفتاة في باطنها.

كانت تلك الليلة فارقة بكلِّ ما حدث فيها وما حدث بعدها، فبينما كان يوسف منكباً على لوحته يرتشف شيئاً

من قهوته بين الحين والآخر، إذ ببعض الأضواء المتلاحقة تضرب نافذته من الخارج فجأة، ترافقها بعض الضوضاء والجلبة آتية من خارج حدود النافذة!

قام يوسف عن لوحته ليلقي نظرة إلى ما يحدث بالخارج، لكنّه لم يكن يدرك حينها أنَّه على وشك أن يمر بأسعد لحظات حياته وأغربها على الإطلاق... إنَّها الفتاة نفسها التي زارته كثيراً في أحلامه حتى سلبت لبه وسكنت فؤاده، تقف بالأسفل متوجهةً بأنظارها صوب نافذته بينما تحيطها الأضواء من كلِّ جانبٍ، أضواءٌ متحركةٌ وأخرى ساكنة موجهة بشكلٍ مباشرٍ نحو وجه تلك الفتاة الفاتنة لتزيدها سحراً فوق سحرها، وكأنَّ المشهد برمته أشبه باستعراضٍ مسرحي كانت تلك الجميلة بطلته الأولى والوحيدة.

لم يصدق يوسف عينيه في البداية واتهم عقله بالمرض واختلاق الخرافات من أثر طول السهر، لكنّه أراد أن يتأكد من حقيقة ما يراه بالأسفل، وهنا أغلق النافذة بسرعة وبدّل ثيابه ثم هبط الدرج متوجهاً إلى ذلك المكان حيث الفتاة بالأسفل، لكنّه ما إن وصل إلى المكان حتى اختفت الفتاة والأضواء وكل شيء آخر هناك، وهنا أدرك

أخيراً أن أمه كانت محقة في توسلاتها له بشأن النوم، فقد تأثرت عيناه وعقله من طول السهر حتى اختلطت أمامهما الحقيقة بالخيال ودخل في دوامةٍ من أحلام اليقظة، وهنا عاد يوسف إلى غرفته وقرر أن وقت النوم قد حان فأغلق الأنوار وخلد في ثبات عميق.

في تلك الليلة التقى بفتاته مجدداً في المنام وسألها عن زيارتها له وعن الأضواء الغريبة التي أحاطتها فأنكرت معرفتها بذلك كله... وعلى الرغم من أن ما يحدث معنا في عالم الأحلام لا يمكن اعتباره مقياساً حقيقياً يُبنى عليه ما يحدث في الواقع، إلا أن يوسف كان يتعامل مع عالم الأحلام على أنّه امتدادٌ للواقع ويستند إليه في الكثير من قراراته ومخططاته بشكلٍ عامٍ في الحياة، وبالتالي بدا الأمر غريباً ومحيراً بالنسبة إليه حين أنكرت فتاته معرفتها بكلِّ ما حدث!

في الصباح استيقظ يوسف غير مبالٍ بما حدث بالليلة الماضية، وأمضى يومه كما اعتاد في كلِّ صباح، ومضت الساعات حتى هبط الليل بغطائه الأسود مرة أخرى، وعاد يوسف إلى لوحاته من جديد، كانت فتاته في تلك الليلة فاتنةً بحق، أبدع يوسف في رسمها هذه المرة أكثر من أيّ

مرة سابقة... أمضى الليل كله في رسمته ثم جلس يضفي إليها اللمسات الأخيرة، وبينما هو مستغرق في الرسم وعند نفس التوقيت تقريباً من الليلة السابقة عادت تلك الأضواء تضرب نافذته من جديد وعادت معها نفس الضوضاء والجلبة مرة أخرى... أسرع يوسف نحو النافذة فرأى أمامه نفس مشهد الليلة السابقة يتكرر بحذافيره!

هبط يوسف الدرج بسرعةٍ نحو الأسفل، ولحسن الحظ فقد تمكن تلك المرة من اللحاق بالفتاة التي كانت بدورها قد بدأت في الاستدارة والمضي قدماً في طريق عودتها من حيث أتت مرة أخرى... أسرع يوسف نحوها حتى وصل إليها...

- على رسلك آنستي... إذا سمحتِ.

وهنا استدارت هي من جديد بوجهها الملائكي فالتقت أعينهما للمرة الأولى في لحظة مهيبة نسى فيها يوسف نفسه ونسى كافة الأشياء من حوله، كأنما تلاشت حياته السابقة بكافة ما فيها فجأة وبدأ حياة جديدة بميلاد جديد على يدي هذين القمرين الساحرين بمجرد أن جمعته بهما نظرة!

لم يجرؤ يوسف على التفوه بكلمةٍ واحدةٍ في حضرة ذلك الجمال المخيف، فقد استمر في التحديق بوجه الفتاة دون توقف حتى أيقظه من تلك السكرة صوتها العذب...

- ماذا؟ ... ماذا تريد ؟!

وهنا أدرك يوسف أن دوره في الكلام قد حان فاستجمع ما تبقى من قواه واستعد للرد...

- أنا... أنا... أنا يوسف، هذا هو اسمي... ألست لوسيندا؟

وهنا ظهرت الدهشة على وجه الفتاة التي ابتلعت ريقها في قلقٍ ثم أجابت بحيرةٍ:

- نعم هذا هو اسمي... لكن كيف عرفت ذلك؟!

- سأوضح لك...

حاول يوسف أن يشرح للفتاة القصة كلّها لكنّه لم يعلم من أين يبدأ... في الواقع كان يوسف حينها مايزال واقعاً تحت تأثير شعورٍ غريبٍ يختلط بين الفرحة الشديدة بلقاء فتاته في الواقع وبين عدم القدرة على تصديق كلّ ما يحدث أمامه، بالإضافة إلى طبيعة الموقف نفسه التي تتسم بالغرابة، كلّ تلك العوامل شكلت معاً عائقاً بات على يوسف أن يتجاوزه كي يتمكن من التوضيح للفتاة عن كيفية معرفته باسمها.

لكنّه في النهاية استجمع قواه وعاد للحديث من جديد حين خطرت بباله فكرة ستوفر الكثير من عناء الشرح وتجلب ثقة الفتاة في كلامه في نفس الوقت.

- عذراً... لكن هل يمكنك البقاء هنا لدقيقة واحدة؟ ... لديَّ شيءٌ ما يخصك عليّ إحضاره من المنزل.

وهنا بدأت علامات القلق تغزو وجه الفتاة الجميلة، لكنّها أومأت برأسها في النهاية مع ابتسامةٍ خفيفةٍ، فأسرع يوسف على الفور إلى غرفته وأحضر بعضاً من لوحاته التي يزينها وجه الفتاة واسمها المنقوش ببراعة أسفل كلّ صورة منها، وتوجه بها نحو الفتاة بالأسفل، وما أن رأت هي لوحاته حتى زادت حيرتها وتوجسها وبدت غير مصدقة لما ترى...

- من أنت؟! ... ومن أين لك بتلك اللوحات؟

وهنا بدأ يوسف في الشرح مستنداً في كلامه إلى لوحاته والفتاة المرسومة فيها التي تتطابق ملامحها تماماً مع الفتاة الواقفة أمامه مما ساهم في سرعة اقتناعها وثقتها في صحة كلماته.

تُرى أيّ ظاهرةٍ غريبةٍ تلك، وأيّ نظريةٍ سابقةٍ توصل إليها العلماء فيما مضى يمكن أن تفسرها؟!... كيف

استحوذت الفتاة على أحلام يوسف كل تلك الفترة وهو الذي لم يرَها من قبل، وكيف تطابق الاسم كذلك مع اسم الفتاة الحقيقية؟ ... كلّ تلك الأسئلة كانت تنتظر تفسيراً واضحاً يبينها.

لكن مجرد حدوث تلك المفارقة العجيبة وحدها بين أي شاب وفتاة سيكون بلا شك كفيلاً بانشاء علاقةٍ ما بينهما، يبدأها الفضول وتغذيها الرغبة في كشف فحوى الرسالة المبهمة التي من المفترض أن تصل إلى كليهما من تلك المفارقة التي يستبعد أن تكون وليدة الصدفة!

- غريبٌ حقاً كلّ ما سمعت وما رأيت، أنا لا أعلم ما عليّ أن أقول أو ما يفترض أن يقال في مثل تلك المواقف، ولولا أنّني لست من القاهرة ولم أزُرها في حياتي سوى مراتٍ قليلة منذ زمنٍ بعيدٍ، لم أتعرف خلالها على أحد لقلت أن هذه محض أكذوبةٍ كبيرةٍ من شخصٍ متطفلٍ يتتبعني لأيّ سببٍ كان... أتعرف؟ لديَّ معلوماتٍ لا بأس بها عن الأحلام وما يدور فيها من غرائب، لكن هذه هي المرة الأولى التي أصادف فيها مثل ما تتحدث عنه... على كلّ حال تشرفت كثيراً بمعرفتك وبالتأكيد لن تكون المرة الأخيرة التي نلتقي فيها.

- أتمنى ذلك حقاً... بالتأكيد لن تكون المرة الأخيرة... لكن لماذا أتيت إلى هنا بالأمس واليوم؟ ... وماذا عن تلك الأضواء؟

وهنا ابتسمت الفتاة حين أدركت مراد يوسف وأردفت...

- الأمر يتعلق بذلك الجهاز الصغير المضيء... إنّه تلسكوبٍ مطورٍ صغير الحجم بحيث يمكن حمله بسهولة بيدٍ واحدةٍ، يستخدم في كشف النجوم والكواكب وكافة أجرام الفلك... أتيت إلى القاهرة ولذلك المكان القريب من بيتك تحديداً لمشاهدة سطح القمر عن كثب، فقد قرأت في أحد الكتب عن أن أقرب نقطة في مسار القمر البيضاوي خلال دورته حول الأرض تكون واضحة عند ذلك المكان تحديداً وفي ذلك التوقيت من كلِّ شهر... أردت أن أطالع ذلك المشهد بالأمس لكن الغيوم حالت بيني وبينه فعدت إلى هنا الليلة لأعيد المحاولة.

- إذا سترحلين غداً؟

- لا ليس بعد... سأقضي بقية الأسبوع في التنزه بالقاهرة لبعض الوقت.

- سنلتقي مجدداً إذاً؟

- بالتأكيد... لديَّ الكثير من المناقشات حول أحلامك الغريبة ولوحاتك.

طلب يوسف من الفتاة رقم هاتفها واتفق أن يلتقي بها في اليوم التالي ليكملا النقاش في ذلك الموضوع الغريب الذي يجمع بينهما.

عاد يوسف بعدها إلى المنزل لا تكاد تحمله قدماه من فرط السعادة، فأخيراً عثر على الفتاة التي زارته كثيراً في أحلامه وتعلق قلبه بها قبل أن يراها في الواقع... فيا للمصادفة السعيدة! لوسيندا الحسناء فتاةٌ حقيقيةٌ موجودةٌ في الواقع تماماً كما هي في عالم الأحلام " يا لك من محظوظ يا يوسف " ... بذلك حدّث يوسف نفسه.

جرت الأمور إذاً بشكلٍ أفضل من المعتاد تلك الليلة، غير أن أمراً واحداً مقلقاً بشأن الفتاة شغل تفكير يوسف! ... فقد كانت لوسيندا الحقيقية تشبه تماماً تلك الموجودة بعالم الأحلام حد التطابق في الشكل والملامح، غير أن يوسف لاحظ أّنه أمام فتاةٍ أخرى تختلف تماماً عن رفيقة أحلامه المرحة ذات الشخصية السلسة والاهتمامات البسيطة غير المعقدة... لكن بطريقة أو بأخرى كان

عليه أن يقنع نفسه أنّه عثر على لوسيندا نفسها التي تزوره بشكلٍ مستمرٍ في أحلامه!

قضى يوسف ليلة لم يعرف مثلها من قبل، من حيث مقدار السعادة التي أصابته فيها، واستعد في النهاية للنوم منتظراً الصباح بنفاذ الصبر.

في الصباح استيقظ يوسف مبكراً، أعدَّ فنجاناً من القهوة والتقط الهاتف ليتحدث للفتاة... وبعد ساعتين من الزمن كان جالساً أمامها في أحد المقاهي...

- غريبٌ حقاً كلّ ما حدث معك بشأن الأحلام... لديّ باع لا بأس به فيما يخص الأحلام لكنّي لم أصادف من قبل مثل ما حدث معك، فما تفسيرك أنت لما حدث؟

وهنا وجد يوسف الفرصة أمامه سانحةً للحديث عن أمر ما كان يتحين الوقت المناسب للحديث فيه...

- أعتقد أنَّ الأمرَ كله متعلقٌ بالأرواح وطرق تواصلها التي لا تنتهي! ... لكي أتحدث عمّا أعتقده تحديداً في هذا الشأن، عليّ أولاً أن أصارحك بشيءٍ ما كنت أنوي تأجيل التحدث عنه لبعض الوقت لكنّه أصبح لا غنى عنه الآن ما دمت سأتحدث حول معتقدي في هذا الموضوع تحديداً... اسمعي يا لوسيندا...

منذ وقتٍ طويلٍ وأنا أؤمن بأنَّ لكلِّ روحٍ في هذا العالم روحٌ أخرى واحدة موجودة في مكانٍ ما بإمكانها أن تكملها وتتآلف معها وتتناغم معها حد التطابق، فتعزفان معاً المقطوعة نفسها في وقتٍ واحدٍ حتى تظنين من شدة التوافق بينهما أنّهما روح واحدة بشكلٍ فعلي لكنّها مقسمة نظرياً إلى جزئين صغيرين منفصلين... ذلك هو الحبُّ عزيزتي باختصار... ذلك الشيء الذي يأتي مرةً واحدةً في العمر، حين يجتمع شطرا الروح اللذان لن يتآلف سواهما معاً.

- لكن إن صح كلامك فكيف ينفصل بعض الناس عن علاقة حُبٍّ ما ثم تربطهم علاقة حُبٍّ جديدةٍ مع شخصٍ جديدٍ بروحٍ أخرى؟

- قد يحدث أحياناً في بعض العلاقات أن تتصل الروح بواحدة أخرى غير تلك الروح الوحيدة التي تنتمي إليها، فيحدث بينهما بعض التوافق وتستمر الحياة بعدها في إطار الزواج، لكن العلاقة التي تجمعهما حينها لا يمكن أبداً أن يطلق عليها مسمى "حب"، وإنّما هي حالةٌ ما من درجات التوافق تنشأ بين الطرفين يحكمها المعروف

المتبادل الذي يصنعه كل طرف للآخر، وتنظمها العشرة والذكريات الجميلة، لكن الحُبَّ شيءٌ آخرٌ!

الحُبُّ حالةٌ تحدث بين روحين مخصصين لبعضهما دون سواهما، ولا يمكن أن يحدث لسببٍ ما أو لمطمعٍ ما لطرفٍ عند الآخر، وإنّما يحدث فقط لأن تلك الروح عثرت على رفيقتها الوحيدة في هذا العالم فشعرت بتلك الرجفة الغريبة وذلك الإحساس الجديد الذي لم ولن يتكرر مع أيّ روح أخرى.

- وما علاقة كل هذا بما حدث معنا؟

- أعتقد أنَّ كلَّ ما حدث معنا فيما يخص موضوع الأحلام لم يحدث سوى لأن أحد روحينا بحثت عن الأخرى عن طريق الأحلام، وهو العالم الذي تتمتع فيه الأرواح بأعلى درجات الحرية من حيث التنقل بين الأماكن بسرعةٍ ويسر والتواصل مع غيرها من الأرواح... نعم أنت الروح التي تبحث عنها روحي في هذا العالم منذ ولدت... أنا أحبكِ لوسيندا! ... علينا أن نكمل حياتنا المتبقية معاً.

وهنا بدأت علامات الدهشة في الظهور على وجه الفتاة، واستعدت للرد لكنّها تراجعت عن الفكرة في النهاية وآثرت الصمت... وهنا عاد يوسف لاستكمال حديثه...

- أعلم أن الساعة الأولى من لقائنا الأول لم تمضِ بعد، وأعلم أنّك مازلت لا تعلمين أيّ شيءٍ عني بعد، لكني أعرفك جيداً... أحفظك عن ظهر قلبٍ!! ... التقيت بكِ مراراً في أحلامي وتحدثنا عن كلّ شيءٍ، لا أنتظرُ منك أن ترددي الآن كلماتٍ مثل " وأنا أيضاً أحبك عزيزي " أو تبادليني نفس الشعور بسرعةٍ... أنا فقط أردت أن أشرح لك رأيي حول الموضوع وأصارحك بشعوري نحوك.

- حسناً... لن أنكر أنّني فكرت في ذلك الاحتمال حين عدت إلى غرفتي بالفندق ليلة أمس... بلا شك هناك رسالة موجهة لكلينا معاً تختبيء خلف كل تلك المصادفات... أتعلم؟ إنَّ كلّ الفتيات في هذا العالم كانت ستتمنى أن يحدث معها ما حدث معي في هذا الموقف تماماً، كل الفتيات تتمنى أن يعثر عليها من رآها في أحلامه أولاً فأحبها وصار متيماً بها دون غيرها وظلَّ يبحث عنها لسنواتٍ بين الفتيات، وما أن يجدها حتى يصارحها بحبه.

لن تتردد هي حينها للحظة في مبادلته الشعور ذاته، لكنّني ورغم كل ذلك لا أجد في كل تلك المصادفات ما يجعلني أسارع إلى ترديد " وأنا أيضاً أحبك عزيزي" ... لينتهي المشهد بتلك النهاية السعيدة المتوقعة المتبوعة بالصقفات الحارة من الجمهور المتابعين للمشهد... في نفس الوقت أنا لم أقل أنّني أرفض ذلك الشعور منك أو أنّني لن أبادلك الشعور نفسه فيما بعد، لكنّني لم أتعرف بعد على ذلك الشخص الجالس أمامي فضلاً على أن أبادله شعوراً مثل هذا.

- أتفهم ذلك جيداً، ولذلك قلت لك أنّني لا أريد منك مبادلتي الشعور نفسه الآن... خذي كامل وقتك والخيار لك وحدك في النهاية.

- دعنا ننصرف عن هذا الآن قبل أن يسرقنا الوقت... أريدك أن تأخذني في نزهةٍ إلى بعض الأماكن الشهيرة بالقاهرة.

قضى الرفيقان بقية اليوم في التنزه بين المزارات والأماكن الأثرية التي تعشقها لوسيندا، ومضى اليوم سريعاً وانتهى بهما الأمر عند باب الفندق الذي تقيم به، وهنا ودعها

يوسف مع اتفاقٍ على أن يلتقيا من جديدٍ في الصباح التالي.

عاد يوسف إلى منزله بعد ذلك اليوم الطويل بالخارج... بدَّلَ ثيابه وانتهى من حمامه ثم استلقى في فراشه وغاص بسيلٍ غزيرٍ من الأفكار... كان من المفترض أن تتعلق تلك الأفكار بمشاعر السعادة المفرطة التي تنتاب من هو في مثل حالته حين يجمعه بمحبوبته اللقاء الأول، وبخاصة حين يطول بينهما اللقاء ويقضي يومه بالكامل برفقتها، لكن ذلك لم يدُرْ مطلقاً بذهن يوسف، وإنما استحوذ على أفكاره شيء آخر يتنافى تماماً مع تلك المشاعر المتوقعة لمن هم في مثل حالته.

دارت بعقل يوسف مقارنة بين لوسيندا رفيقة الأحلام ولوسيندا الأخرى التي التقاها في الواقع، فكشفت المقارنة عن اختلافات جمة في الشخصية والطباع ودرجة الألفة بين الفتاتين المتماثلتين تماماً في الشكل والاسم، وهو ما أقلق يوسف كثيراً... فلوسيندا الواقعية فتاة ذات شخصية جادة عملية، تهوى البحث وجمع المعلومات في مختلف المجالات، تفضل التنزه في المتاحف والأماكن الأثرية

والثقافية عن السهرات الرومانسية في المطاعم والمقاهي والأماكن العامة.

أما لوسيندا التي عرفها في الأحلام فكانت خلاف ذلك تماماً! ... تعشق الرحلات والحفلات الغنائية والـ (shopping) كأيّ فتاةٍ أخرى... إذا تحدثت إلى يوسف كان لكلماتها حناناً يلمس قلبه فيطهره من أيّ همٍّ أو قلقٍ يشوبه، وإذا نظرت لعينيه يمكنها أن تنفذ من خلالهما إلى الداخل فتقرأ ما يدور في قرارة نفسه من دون أن يتفوه هو بكلمةٍ واحدةٍ حتى... كانت باختصار شطر روحه التي تاهت عنه قبل زمنٍ بعيدٍ ثم عادت إليه فعاد هو للحياة بعودتها.

انصرف يوسف عن تلك الأفكار أخيراً وأقنع نفسه بصورةٍ أو بأخرى أن كل ذلك لم يكن سوى محض خيالات تدور في رأسه، ولا علاقة لها على الإطلاق بالواقع، إذ أنّه من المستحيل أن تأتيه فتاة في أحلامه بشكلٍ واسمٍ محددين ثم يلقاها في الواقع بنفس الملامح والاسم وتكون بعد كل ذلك فتاة أخرى.

أضف إلى ذلك أن يوسف لم يقضِ معها بعد سوى يوماً واحداً لم تعتبر هي علاقتهما خلاله أكثر من مجرد رفيقين يقضيان الوقت معاً في التنزه، وبذلك فإن الفتاة مازالت تتعامل مع يوسف باعتباره غريباً عنها، حتى وإن كان غريباً يجمعها معه مصادفات غير عادية، لكنه يظل في النهاية غريباً -وفق اعتباراتها-رغم كل ذلك، ولذلك فإنه من المبكر جداً الآن أن يحكم يوسف على طبيعة لوسيندا ويجزم أنّها فتاة أخرى مختلفة عن رفيقته في الأحلام... توقف يوسف عن كلِّ شيءٍ إذاً واستسلم للنوم في النهاية.

هذه الليلة كان الحلم مختلفاً في طبيعته عن كل يوم... اختفت شوارع المدينة الجميلة التي اعتاد التجول فيها برفقة فتاته الحسناء وحلَّ محلها غابة مظلمة كثيفة الأشجار، لم يدرِ كيف أتى إلى ذلك المكان الموحش ولا حتى إلى أين عليه الذهاب، مضى في طريقه بين الأشجار والحشائش البرية ذات المسنقعات الضحلة، حتى كسر ذلك الصمت المخيم على المكان من حوله صوت بكاءٍ آتٍ من خلف إحدى الأشجار!

لم يكن مجرد صوت بكاء عادي، وإنما كان صوتاً يعرفه يوسف جيداً ويحفظه عن ظهر قلب! ... "إنّها لوسيندا "

بذلك حدث يوسف نفسه في فزعٍ ثم أسرع نحو الشجرة، وعلى عكس ما كان ينتظر لم يجد لوسيندا خلف الشجرة ولا في أي مكان آخر حولها! ... وإنّما سمع صوت صدى بكائها يتردد في الأرجاء من كلِّ مكانٍ حوله، تجول ببصره حول الشجرة فعثر على ورقة بيضاء معلقة بمسمار بالأعلى فانتزعها مسرعاً ليقرأها.

كانت الورقة رسالة من لوسيندا وكان مضمونها كالآتي...

" حين تخدعك عيناك فالجأ لذلك الركن المخصص لي بقلبك، فهو لن يسمح أن تسكنه روحاً أخرى غيري مهما حاولت هي أو حاولت أنت ذلك "

طوى يوسف الورقة في دهشةٍ ثم تفحّصَ المكان من حوله مجدداً فلم يجد سوى الأشجار والظلام الذي يغطي المشهد من جميع الجهات! ... استيقظ من نومه فزعاً يبحث يميناً ويساراً عن أشجار الغابة الكثيفة والرسالة وصوت لوسيندا، لكنّه لم يعثر على أيّ شيءٍ من ذلك، فقط كان يوجد فراشه ووساداته، فأدرك أخيراً أنَّ ما لحق به للتوّ لم يكن أكثر من مجرد حلمٍ غريبٍ يختلف في طبيعته عن تلك الأحلام الهادئة التي اعتاد عليها مؤخراً.

تفقد يوسف هاتفه ليرى الساعة فوجد رسالة مرسلة قبل عدة ساعات، كانت الرسالة من لوسيندا، فتحها يوسف بسرعة فكان نصها كالتالي...

" شكراً جزيلاً لك... لقد كان يوماً رائعاً حقاً بصحبتك... أنا ممتنة لك كثيراً "

شعر يوسف بسعادةٍ بالغةٍ جراء تلك الرسالة ربما لم يشعر بمثلها طوال يومه الطويل كله معها بالأمس... نظر إلى الساعة فكانت السابعة صباحاً فهاتف لوسيندا التي أجابت على الفور...

- صباح الخير لوسيندا... أتمنى أن تكوني قد حظيت بليلةٍ هادئةٍ بالأمس.

- صباح الخير يوسف... نعم لقد كانت ليلةً هادئةً نلت فيها قسطاً وفيراً من النوم.

- لقد كان يوماً رائعاً بالأمس برفقتك لوسيندا... ما رأيك أن نكرره من جديد اليوم؟

- كنت سأقترح عليك الشيء نفسه... إذاً فلنتناول الفطور سوياً... سأعد لك إفطاراً مميزاً هذا الصباح.

- رائع عزيزتي... أنا حقاً متشوق لهذا.

- ما رأيك لو نلتقي بتلك الحديقة الرائعة التي ينتهي بها شارع الفندق الذي أقيم به؟

- اقتراحٌ جيدٌ... فليكن اللقاء إذاً هناك بعد ساعتين من الآن.

في المكان والزمان المحددين التقى الرفيقان كما جرى الاتفاق... جلسا يتبادلان أطراف الحديث بينما يتناولان بعض الشطائر المحلاة مع الشاي، وبينما كان يوسف يتحدث إلى لوسيندا وقبل أن ينهي جملته سقط على كتفها فجأة فاقداً للوعي!

بدت لوسيندا غير متفاجئة كثيراً بما حدث، وكأنها تعرف مسبقاً ما سيحدث... بهدوءٍ قامت من مقعدها وعدلت من وضع يوسف ثم أخرجت من حقيبتها شيئاً ما وبدأت في إفاقته، وبعد عدة محاولات عاد يوسف لوعيه أخيراً...

- حمداً لله على سلامتك يوسف... ما الذي أصابك؟

- لا أدري... ربما كان ذلك بعض الإرهاق المصحوب بتأثير الجو الحار.

- على كل حال حمداً لله على سلامتك.

أنهى الرفيقان يومهما بسرعةٍ هذه المرة عقب تلك الوعكة الصحية التي أصابت يوسف، اطمأنت لوسيندا عليه ثم ودعته عند منزله وغادرت.

صعد يوسف الدرج بصعوبةٍ حتى أدرك باب الشقة، ضغط على زر الجرس ففتحت أمه، وقبل أن يدخل من باب الشقة حاصرته بحفنةٍ من الأسئلة...

هل أودعت الأموال بالبنك؟ ... هل أحضرت خافق البيض الذي طلبته منك؟ ... أين وضعت ريموت التلفاز بالأمس؟ ... لماذا لم ترتب غرفتك قبل مغادرة المنزل؟

تعجب يوسف من تلك الثرثرة غير المعتادة من أمه هادئة الطباع التي كانت تكتفي في السابق بالترحيب به بابتسامةٍ هادئةٍ ثم تسأله بهدوءٍ عن أحداث يومه... ثم أي طلبات تلك التي تتحدث عنها؟ وأي أموال تلك التي طلبت منه من قبل إيداعها؟ ... هل فقد يوسف الذاكرة لتلك درجة التي تجعله لا يذكر شيئاً من كل هذا؟

دخل يوسف إلى غرفته فأحس للوهلة الأولى ببعض الاختلاف في ترتيباتها، لكنه لم يهتم كثيراً للأمر... وضع هاتفه ومحفظته وبدّل ثيابه بسرعةٍ وانتهى من حمامه في عجالة ثم خلد مباشرة للنوم.

هذه المرة عاد بأحلامه لتلك الليلة حين كان جالساً أمام رسوماته قُبيل الفجر، بينما كانت أمه تلح عليه مراراً أن ينتهي من سهره ويخلد للنوم... أحس يوسف هذه المرة بأمه تفتح الباب برفقٍ من خلفه، وقبل أن تنطق بكلمةٍ صاح يوسف في تذمر:

- قلت لك ليس الآن يا أمي، دعيني وشأني... سأذهب للنوم عندما أنتهي.

لكن أحداً لم يجبه، واستمر صوت الخطوات في التتابع بصمت من خلفه... حبس يوسف أنفاسه في فزعٍ فكانت المفاجأة التي لم يكن أبداً يتوقعها!

لوسيندا تمشي بخطواتٍ بطيئةٍ نحوه بينما تنهمر الدموع بغزارة من عينيها، تضع إحدى يديها على فمها لتكتم صوت نحيبها، بينما تحمل باليد الأخرى هاتفاً يعرض شيئاً ما تلوح به ليوسف!

انتفض يوسف نحوها والتقط الهاتف من يديها بدهشةٍ وفزعٍ وعندما ألقى نظرة به ازداد فزعاً وحيرةً ولم يتمكن من تصديق ما تنقله إليه عيناه من خلال الهاتف...

كان الهاتف يعرض فيلماً لأمه تلتقط ورقة من على سريره فتقرأها ثم تبكي بينما والده بجوارها يحتضنها مهدئاً من

روعها... رفع يوسف عينيه عن الهاتف عائداً بنظره إلى لوسيندا لكنه لم يجدها في أي مكان! ... وكأنها سراب في صحراء خالية لاح فجأة من بعيد ثم اختفى بسرعةٍ كما ظهر.

عاد يوسف بنظره إلى ذلك الهاتف بيده فلم يجده ووجد بدلاً منه جرذاً قذراً ذميم المنظر بين يديه فانتفض من هول المفاجأة فقرضه الجرذ في يده بقسوةٍ فصرخ يوسف صرخة مدوية استيقظ على إثرها من النوم ليكتشف أنه على سريره بالصباح.

التقط يوسف هاتفه فوجد ساعة الهاتف تشير إلى الثامنة والنص صباحاً، ووجد مكالمةً فائتةً من والده ورسالةً من لوسيندا، فتح بسرعةٍ الرسالة فوجد نصها كالتالي...

" صباح الخير يوسف... أتمنى أن تكون الأمور قد تحسنت اليوم وأن تكون قد تجاوزت تلك الوعكة التي أصابتك بالأمس... استيقظت مبكراً هذا الصباح... هاتفني حالما تستيقظ "

لم يجب يوسف على الرسالة واتصل على الفور بوالده الذي طلب منه أن يذهب إليه بمقر الشركة لمناقشة أمرٍ هامٍ... هاتف يوسف لوسيندا بعدها وأخبرها أن الأمور تسير معه

على ما يرام هذا الصباح، طلبت منه بعدها أن يخرجا سوياً من جديد في نزهة فاعتذر منها وطلب أن يأجلا ذلك لليوم التالي بسبب انشغاله في العمل مع والده طوال اليوم.

كان والد يوسف مهندساً عمل بتخصصه لفترة فيما مضى ثم ترك وظيفته واتجه للعمل الخاص... أنشأ شركة صغيرة لتجارة الأغذية المحفوظة ثم بدأت الشركة في النمو شيئاً فشيئاً حتى أصبحت الأولى في مجالها واكتسبت سمعة واسعة وحققت نجاحاً باهراً على مستوى كبير، فاحتاج والد يوسف لضمه إليه وإشراكه في عمله في الفترة الأخيرة، خصوصاً بعدما تقدم به العمر فشعر بالحاجة لمن يسانده في حمل أمور الشركة على عاتقه ومشاركته همومها وأعبائها.

وصل يوسف لمكتب والده، وبمجرد دخوله فوجئ بوابلٍ من الأسئلة...

- أين كنت طوال اليومين السابقين؟ بحثت عنك مطولاً في كل مكان... ألن تكف أبداً عن تلك اللا مبالاة والإهمال؟ هل أنهيت صفقة الأستاذ عصام؟

- على رسلك يا أبي... لست أذكر أي شيء عما تتحدث، مررت بالأمس بوعكة صحية أدت بي لحالة من الإغماء فتشتت بي الأمور... أرجو أن تعذرني وتتحلى معي بالصبر.

- عن أي إغماءٍ تتحدث؟

- لا أدري... موضوعٌ غريبٌ سأقصه عليك لاحقاً... الآن أريد منك أن تشرح لي كل شيء عن العمل والأستاذ عصام وخلافه.

سلّم يوسف إذاً بفقدانه للذاكرة بشكلٍ جزئيٍ جراء ما حدث، وأصبح متسامحاً تماماً مع كلّ ما حدث وما سيحدث، يتعامل بهدوءٍ مع كلِّ مفاجأةٍ جديدةٍ أو أمرٍ ما يتحدث عنه الآخرون ولا يذكر هو أي شيء عنه، لكنه ربما لم يدرِ حينها كم كان متسرعاً في أحكامه الظالمة بحق ذاكرته!

مضت تلك الليلة بهدوءٍ دون أحلام مزعجة على عكس ما اعتاد يوسف في الأيام الماضية، استيقظ في الصباح بنشاطٍ، أعدَّ فنجاناً من القهوة وانتهى من حمامه سريعاً وبدأ يرتشف فنجانه بهدوء، وقبل أن يلتقط هاتفه بادر الأخير بالرنين معلناً عن قدوم مكالمة من شخصٍ ما،

التقط يوسف الهاتف فقرأ اسم لوسيندا على الشاشة فأجاب على الفور...

- صباح الخير يوسف... كيف حالك اليوم؟

- صباح الخير لوسيندا... أعتقد بأنّني على ما يرام.

- تعتقد! ... يوسف لدي ما أخبرك به... أرجو أن تعيرني الانتباه بشكلٍ كاملٍ.

- تفضلي لوسيندا... هاتي ما لديكِ.

- يوسف... أنا أحبك! ... اليوم أصبح بإمكاني قولها من كلِّ قلبي.

- لوسيندا هل أنت محقة في ذلك؟ ... هل أنتِ متأكدة مما تقولين؟

- نعم يوسف... كنت مشوشة بعض الشيء منذ التقينا وحتى الأمس... لكن بعد تفكيرٍ عميقٍ أنا متأكدةٌ الآن من ذلك الشعور نحوك.

- في الواقع لا يمكنني وصف كم المشاعر المتداخلة التي تخترق صدري الآن بقوة دون رحمة... بالتأكيد إنّها أسعد لحظات حياتي عزيزتي... سأكون سخيفاً فيما سأطلبه منك الآن... لكن هل يمكن أن تغلقي المكالمة لعدة

دقائق لأستجمع كل تلك المشاعر المتقدة داخلي ثم أعاود الاتصال بكِ؟

- بالطبع يوسف... أقدر ما تشعر به الآن... أنا أيضاً تنتابني نفس الفرحة... ألقاك لاحقاً... إلى اللقاء عزيزي.

في الواقع لم تكن الفرحة البالغة هي ما دفع يوسف لإنهاء مكالمته سريعاً مع لوسيندا، وإنما كان ما حدث شيءٌ آخر يتنافى مع ذلك الشعور تماماً! ...

فيوسف الذي كان متلهفاً أشد اللهفة على استخراج اعتراف بالحب من فم لوسيندا عندما التقى بها أول مرة، أصبح الآن مختلفاً تماماً بعد كل الأحداث التي حدثت ولازالت تحدث من حوله طوال الأيام الماضية وحتى الآن! ... ينظر إليها بعينيه فيراها فتاته الجميلة نفسها التي عشقها أيما عشق وهام بها ليال طوال في أحلامه، فإذا أطرق قليلاً مبتعداً بعينيه عن وجهها يراها فتاةً أخرى تختلف تمام الاختلاف عن رفيقة أحلامه التي يحفظها عن ظهر قلب... هو لا يرفضها وفي نفس الوقت يخشى أن يقبلها فيواجه ذلك الإحساس المميت بداخله إذا ما انفرد بنفسه... فرح كثيراً باعترافها له بالحب لكن ذلك الشعور بالخوف بداخله الذي يخبره أنّها ليست فتاته

نفسها يلجم تلك الفرحة ويمنعها من الخروج إلى ما خارج حدود نفسه التي بين جنبيه.

مضى الوقت سريعاً بيوسف شارداً في أفكاره العميقة وحيرته دون أن يشعر، ولم يخرجه من تلك الحالة سوى صوت رنين هاتفه باسم لوسيندا من جديد...

- ما بك يوسف؟ ... أتحتاج كل ذلك الوقت لتسيطر على فرحتك؟ ... أنا حقاً أتعجب من ردة فعلك! ... لم أنتظر منك رد الفعل هذا على اعترافي لك بالحب.

- عذراً عزيزتي... أنا حقاً سعيدٌ جداً بذلك الاعتراف منك... كنت أنتظره بفارغ الصبر... هل نخرج للاحتفال بتلك اللحظات السعيدة؟

اتفقَ الرفيقان على الخروج للاحتفالِ بأسعدِ لحظاتهما معاً أو فلنقل ما من المفترض أن تكون أسعد لحظاتهما لولا ما يعجُّ به صدر يوسف ويرفض أن يمنحه فرحة كاملة بتلك المناسبة الفريدة من نوعها في حياته! ... التقيا إذاً بأحد المطاعم الشهيرة بوسط المدينة وبعد تناول الطعام بدأ كل منهما الحديث حول الأمور والترتيبات الهامة التي من المنتظر أن تجمعهما معاً خلال الفترة القادمة...

- لا أصدق حتى الآن كل ما حدث معنا منذ البداية وحتى تلك اللحظة... أتدري عزيزي؟ لو أنّنا تحدثنا للناس عن قصة لقائنا الأول وتلك العلاقة الغريبة التي جمعت بيننا منذ حينها وحتى الآن لاتهمنا الجميع باختلاق الأكاذيب... حتى أنا لم أصدق في البداية كل ما حدث.
- بالفعل لوسيندا... حتى أنا من كثرة ما ممرنا به من غرائب خلال الأيام السابقة ما عدت أستوعب الكثير من المجريات حولنا... لكن دعينا من هذا كله الآن ولنرتب لما سيحدث خلال الأيام القادمة... حدثيني عن والدك ودعينا نرتب الأمور لمقابلته.

- والدي طبيبٌ شهيرٌ يدعى " وليد سراج " في البداية كان يقيم معنا بمدينة السويس قبل أن يفتتح عيادته الخاصة بالقاهرة وينتقل إليها، أقام هنا بالقاهرة منذ زمنٍ بعيدٍ بشقةٍ ملاصقةٍ لعيادته، لكنه كان دائماً يرفض انتقالنا للسكن معه بتلك الشقة بحجة التركيز في عمله، فهو يقدس العمل بدرجةٍ كبيرةٍ، فأقام هنا بمفرده لفترةٍ طويلةٍ كان يتردد خلالها بين الحين والآخر على منزلنا بالسويس ومن ثم يعود للقاهرة مجدداً لاستكمال عمله،

ربما ضحى بجزءٍ كبيرٍ من حياته معنا، لكنه حقق في المقابل نجاحاً باهراً في عمله جعله أحد أشهر الأطباء في تخصصه، هو شخصٌ ودودٌ بشكلٍ عام، أتمنى أن تصبحا صديقين بعد أن تلتقيه.

- رائع... أنا حقاً متحمسٌ لرؤيته.

وبعد عدة ترتيبات واتفاقات التقى يوسف أخيراً بالدكتور وليد سراج، كان اللقاء ودوداً بدرجةٍ ربما حتى لم يتوقعها يوسف في أعلى أمنياته سقفاً، تحدثا في كلّ شيءٍ بالحياة بوجهٍ عام وتبادلا الآراء حول عدة موضوعاتٍ واهتماماتٍ مشتركةٍ بينهما اكتشفاها خلال الاسترسال في الحديث، باختصار صارا صديقين حميمين منذ اللقاء الأول، رتبا كل شيء حول الخطبة ولم يختلفا مطلقاً حول أي شيء، واتفقا في النهاية على أن ينظما لقاء أكثر رسمية ينضم إليهما فيه والدا يوسف.

لم تمضِ عدة أيام أخرى بعدها حتى كان يوسف في لقاء آخر مع الدكتور وليد سراج برفقة والديه هذه المرة، وعلى غير المنتظر فقد أسرع والد يوسف للدكتور وليد بمجرد رؤيته فصافحه بحرارةٍ وتعانقا في ودٍّ يشير إلى معرفةٍ سابقةٍ تجمعهما معاً!

- عذراً... هل تجمع بينكما سابق معرفة؟
- بالفعل يوسف... الدكتور وليد هو من أنقذ حياتي حين أجرى لي تلك الجراحة بالكلى منذ عدة أسابيع بعدما تأزمت الأمور ووصلت إلى وضعٍ خطيرٍ...
- رائع حقاً... ربما لم يكن ذلك كله سوى بعضاً من ترتيبات القدر ليتم لم شملنا جميعاً في النهاية في عائلةٍ واحدةٍ كبيرةٍ.

تحول اللقاء على غير المتوقع من زيارة بهدف الخطبة إلى جلسة عائلية يتبادل فيها الدكتور وليد مع والد يوسف بعض الذكريات القديمة والطرف والضحكات، ثم تطرقا أخيراً في النهاية لموضوع الخطبة واتفقا على كل شيء دون أية خلافات أو مشاكل... ليبدأ يوسف مع لوسيندا أول خطوات قصتهما كخطيبين يسطران الحروف الأولى من الحياة التي سيتشاركان كل ما فيها معاً.

بدا أن كل الأطراف في ذلك الوقت بأسعد اللحظات، وبدت كل الأمور كأنها تسير باتجاه نهاية سعيدة تتمناها الفتيات الحالمات دوماً كلما أطرقت في خيالاتها الوردية، غير أن أحد تلك الأطراف لم يحالفه الحظ في الوصول لتلك السعادة المنشودة! بالطبع إنه يوسف من جديد،

انبهر في البداية بتلك الأضواء والبهجة والاحتفالات وبكل شيء آخر من حوله وتناسى تلك المشاعر المختلطة التي يعج بها صدره... لكنه وإن استطاع أن يهرب من تلك المشاعر لبعض الوقت فلن يتمكن من مواصلة الهروب منها طوال الوقت، فتفكيره لن يرحمه إذا خلا بنفسه للحظةٍ! فلوسيندا عنده مقسمة لفتاتين، عثر على واحدة منهما تشبهها تماماً ولازال يبحث داخلها عن الأخرى دون جدوى.

مرت الأيام تباعاً بعد الخطوبة وتعددت الأحداث بشكلٍ روتيني ربما يختلف كثيراً عما كانت تنتظره لوسيندا، وبدا أن يوسف قد نجح في إخفاء ما يدور داخله من أفكار ومشاعر مختلفة تتناقض عما يظهره أمامها، أو ربما ظن هو أنّه نجح في إخفاء ذلك عنها، غير أن ظهر البعير كان قد تحمل الحد الأقصى المسموح به من الحمل دون أن يتوقف يوسف عن إضافة المزيد من القشات حتى انقسم فجأة دون سابق انذار، ليتفاجأ يوسف بثورة لوسيندا التي طفت على السطح بعد وقت ليس بالبعيد من إتمام الخطبة.

أفصحت لوسيندا ليوسف عن كل ما تكتمه في صدرها من تصرفاته وجفواته معها التي صارت لا تحتمل... بينما اعتذر هو عن كل ذلك مبرراً تصرفاته ببعض مشكلات العمل التي ازدادت بشكلٍ ملحوظٍ في الآونة الأخيرة حتى باتت تؤرقه وتؤثر على تصرفاته مع الجميع، ووعدها في النهاية بأن يبدأ جدياً في التعديل من كل هذا مقترحاً أن يذهبا إلى الأسكندرية في نزهة لعدة أيام، لتكون تلك نقطة جديدة تبدأ عندها علاقتهما في التحسن من جديد.

رحبت لوسيندا بالفكرة لكنها أصرت على اصطحاب والدها ووالد يوسف برفقتهما خلال تلك الرحلة، وهو الأمر الذي تعجب منه يوسف كثيراً وبخاصة أن لوسيندا اعتادت الحياة وحدها والسفر وحدها لمدة طويلة من الزمن قبل لقائها به.

وما زاد من حيرته أكثر أنه حتى وبعد موافقته على اصطحاب والد لوسيندا معهما خلال الرحلة وجد منها إصراراً أكبر على اصطحاب والده أيضاً وهو الأمر الذي لم يفهم مبرره، لكنه في النهاية وافق على ذلك أيضاً لينهي كل

تلك الخلافات والمجادلات التي اتخذت حجماً أكبر بكثير مما تستحق.

مرت الساعات بسرعة ودقت ساعة السفر فكان الرفاق الأربعة قد استقلوا سيارة يوسف بالفعل في طريقهم نحو الإسكندرية -تلك العروس الجميلة التي تخطف قلب من يراها منذ اللقاء الأول-مضت ساعات السفر ومضى معها الطريق من القاهرة إلى الإسكندرية ووصل الرفاق إلى الفندق حيث سيبيتون ليلتهم.

توقع يوسف أن يبيت هو في غرفة واحدة مع والده بينما تبيت لوسيندا في غرفة مستقلة مع والدها كما تقتضي أحكام الخطوبة، لكنه تفاجأ بذلك الطلب الغريب من والد لوسيندا حين طلب منه استئجار ثلاثة غرف بحيث يبيت الوالدان معاً في غرفة بينما يبيت كل واحد من يوسف و لوسيندا بغرفة مستقلة بمفرده! ... لم يجد يوسف أي مبرر لذلك الطلب لكنه وافق ممتعضاً متململاً في النهاية.

وصل الرفاق أخيراً إلى غرفهم، ودع يوسف لوسيندا عند باب غرفتها وتمنى لها ليلة هادئة ثم دخل إلى غرفته وأنهى حمامه وخلد سريعاً للنوم.

على الجانب الآخر قضى الوالدان سهرتهما في السمر حول بعض الذكريات والموضوعات الخاصة، ثم انتهى بهما الحديث إلى عملية والد يوسف وصحته بعدها، وعندها بدأ الطبيب يحذر مريضه السابق من بعض العلامات البادية بقوة على وجهه وجسده وحركته والتي تشير إلى بداية انتكاسة، ثم طلب منه أن يقوم بزيارته بالعيادة بمجرد العودة للقاهرة لإخضاعه للفحص الدقيق ومن ثم بيان حالته قبل أن يعود الطبيب نفسه في الصباح ليخبره من جديد أن الحالة قد تفاقمت وأصبح من الضروري العودة مباشرة للقاهرة لإجراء الفحوصات دون تأخر والتدخل الجراحي لتصحيح الأمور إذا استلزم الأمر.

تفاجأ الخطيبان برغبة الوالدين في السفر بمجرد طلوع الصباح، وتفاجأ يوسف أكثر عندما علم السبب، فبالتأكيد ليس بإمكانه أن يتعدى تخصص الطبيب فيفتي بسلامة والده من عدمها، لكن أحياناً يكون للمنطق رأياً آخراً يبيح بعض التدخل... إذ من المنطقي أن يعترض عقل يوسف على حقيقة مرض والده وفشل الجراحة الأولى وبخاصة أنه أمضى عدة أسابيع بعدها بصحة جيدة دون أن يشتكي من أية أعراض قد تشير إلى انتكاسته.

تعجب يوسف كثيراً لما سمع من الطبيب لكنه لم يظهر شيئاً مما يحيك بصدره... مضى الرفاق الأربعة في طريقهم نحو القاهرة من جديد، لكن وبمجرد وصولهم استأذن يوسف الدكتور وليد في اصطحاب والده للمنزل أولاً لتبديل الثياب ومن ثم زيارته بالعيادة فوافق الدكتور وليد محذراً إياه من عواقب التأخر في الحضور للعيادة.

لم يتوجه يوسف بصحبة والده نحو البيت كما أخبر الطبيب وإنّما ذهب لإجراء بعض التحاليل و الفحوصات لوالده للتأكد من صحة مزاعم الطبيب! ... وبغرابةٍ شديدةٍ صدق حدس يوسف وأثبتت جميع التحاليل أن والده يتمتع بصحةٍ جيدةٍ دون وجود أي مؤشر قد يوحي بعكس ذلك! ... وهنا تصارعت الأفكار والاحتمالات في رأس يوسف.

حارَ يوسف من أمره كثيراً، فكيف لطبيب خبير أن يخطيء في تشخيص حالة مريض لتلك الدرجة التي تجعله يصرُّ على ضرورة إجراء جراحة جديدة له! ... هل تعمّد الدكتور وليد خداع يوسف ووالده؟ وأيّ فائدة قد تعود عليه من ذلك؟ ... هل يعقل أن يكون هدفه من ذلك

كله تحقيق الربح المادي فقط عن طريق إجراء جراحة لا حاجة إليها؟ ... أسئلة كثيرة دارت في عقل يوسف دون أن يصل إلى إجابة شافية تحسمها.

قرر يوسف في النهاية أن ينصرف عن هذا كله دون أن يخبر الدكتور وليد شيئاً عن نتائج الفحوصات التي أجراها، تحدث فقط إليه وأخبره أن والده يشعر بأنه على ما يرام وأنه يتحمل مسؤولية عدم إجرائه للجراحة... ربما أدرك حينها أن هذا الموقف سيترك بعض الحساسية في التعامل بينه وبين والد خطيبته فيما بعد، لكنه فعل ما يراه صواباً على أية حال وليحدث ما يحدث، كان هذا ما دار برأسه حين اتخذ قراره.

ظنَّ يوسف أن الأمور في طريقها نحو الهدوء، لكنه ربما لم يعي حينها أبعاد المشهد بالشكل الصحيح ولم يتوقع ما يمكن أن تؤول إليه الأحداث، فعينا الدكتور وليد قيّمتا المشهد بصورة أخرى غير تلك التي رآها يوسف، مما أدى لتفاقم الأمور للدرجة التي جعلت ذلك الطبيب الشهير يصرُّ على إنهاء خطبة ابنته من يوسف بعدما اعتبر أن رفضه لإجراء الجراحة لوالده بمثابة تشكيك واضح في قدراته وفي تشخيص الحالة الذي قام هو به بنفسه!

بعد محاولات عديدة من يوسف ولوسيندا وإصرار كبير من والدها تم فسخ الخطبة وانتهت الأمور بسرعة وبطريقة غير متوقعة، لتغوص لوسيندا في أحزانها محملة يوسف المسؤولية فيما آلت إليه الأمور بسبب رعونته وسوء تصرفه مع ما حدث.

أما يوسف فلم يحزن في الحقيقة بتلك الدرجة التي كان يتوقعها، وإنما وجدها فرصة لإعادة التفكير في علاقته بلوسيندا بشكلٍ عام وتلك الشكوك والأفكار التي تدور بصدره حولها، جاءته تلك الفرصة بطريقة غير متوقعة ربما لم يكن ليصل إليها مهما تحرى الدقة في وضع الترتيبات التي تؤدي لها.

تحول إلى إنسان آخر، صامتاً طوال الوقت، يقتصر يومه على حدود غرفته ويستحوذ النوم على الجزء الأكبر منه... يشتاق كثيراً للوسيندا لكنه يشعر بالغربة تجاه تلك الروح التي تسكنها... يتمنى لو يستيقظ من نومه يوماً فيجد أن شكلها قد تغير واختلفت جميع ملامحها تماماً عن رفيقة أحلامه ليغلق حينها هذا الباب تماماً ويحسم ذلك الجدل المثار بين عينيه وقلبه ويعلن بكلِّ ثقةٍ أمام قلبه وعقله أن تلك الفتاة ليست لوسيندا حبيبة قلبه وشطر روحه،

وإنّما هي فتاة أخرى بصفاتٍ أخرى وشكلٍ آخر يختلف تماماً عن لوسيندا التي يعرفها.

عاد يوسف مجدداً إلى لوحاته التي هجرها منذ وقتٍ طويلٍ، رسم صورة جديدة لفتاته بدت أكثر إشراقاً هذه المرة، أضفى إليها لمساته الأخيرة ثم جلس يتحدث إليها... عاتبها كثيراً على غيابها عنه طوال تلك الفترة وتمنى لو تمكنت بطريقةٍ ما من العودة إلى نفسها أولاً ثم العودة إليه، تمنى لو حلت روحها التي يألفها بذلك الجسد الذي تحبه عيناه ولا يألف قلبه ما بداخله.

غلب يوسف النعاس فنال منه النوم مناله دون أن يشعر وعادت مناماته الغريبة لزيارته من جديد... تلك المرة رأى لوسيندا تخرج من لوحته وتحتضنه فجأة دون أن تنطق بكلمةٍ، أراد يوسف أن يسألها عن غيابها أو يطمئن على حالها، أراد أن يسألها عن سر غرابتها في عالم الواقع واختلافها كل الاختلاف عن حقيقتها في تلك اللحظة، أراد أن يسألها عن افتقادها إليه أو عن حياتها بدونه، أراد أن يسأل عن ألف شيء وشيء لكن دفء حضنها - الذي ينتمي يوسف بالأصل إليه - سحب روحه من أعماقها وحلق بها بعيداً عن ضيق جسده وعن ضيق

الدنيا بما فيها، وانطلق معها إلى فضاءٍ واسعٍ لا مجال فيه يمكن أن يحمل موجات صوته المادية، فتلاشت كلماته كلها فجأة في لحظة نسى فيها يوسف نفسه واسمه ورسمه والدنيا بما فيها وما عليها، وكأنما حصرت الحياة - كلّ الحياة - في ذلك الحيز الصغير الذي يحده عنقها وكتفيها وذراعيها.

استيقظ يوسف فجأة من ذلك الحلم الذي لم يرَ بجمالهِ قط، كم تمنى لو أنه لم يستيقظ منه أبداً... التقط هاتفه فوجد رسالة من لوسيندا تطلب منه أن يهاتفها بمجرد استيقاظه للحديث حول أمر هام.

اتصل يوسف على الفور بلوسيندا التي عاتبته كثيراً على عدم القيام بأيّ خطوة جديدة أو محاولة لإصلاح الأمور مع والدها منذ تعقدت الأمور، وأخبرته بعدها عن قيامها بإقناع والدها بامكانية إعادة العلاقة بينهما وإتمام الخطبة من جديد بعد عقد جلسة صلح بينه وبين يوسف، فوافق يوسف على الفور وانتابته فرحةٌ عارمةٌ هذه المرة ربما لم يشعر بمثلها عند إتمام الخطبة في المرة الأولى... ربما يعود السبب في ذلك إلى شعوره بوجود علاقة ما تجمع بين منامه الأخير وما حدث بين لوسيندا ووالدها، ربما لم

يكن ذلك أبداً من قبيل الصدفة... عقدت جلسة الصلح إذاً بين يوسف و والد لوسيندا وعادت أجواء البهجة إلى حياة الحبيبين من جديد.

مضت الأيام الأولى للخطيبين معاً في التنقل بين المقاهي والمطاعم والسينما، وكانت السعادة بادية بقوةٍ على ملامح كُلٍّ منهما خلال تلك الجولات التي تكررت بشكل يومي، لكن وبعد عدة أيام وخلال إحدى لحظات الصراحة بين يوسف ونفسه في غرفته اكتشف أن أفكاره وانطباعاته السلبية حول لوسيندا وطبيعتها واختلافها عن رفيقته بعالم الأحلام كانت لا تزال مخبئة في ركن ما داخل قلبه وأنه فقط كان يحاول الهروب منها طوال الأيام الماضية دون أن يتغير أي شيء بصدره!

عاد يوسف إذاً لأزمته التي لا تنتهي، ومنبع همومه الذي يأبى أن ينضب، عاد من جديد لنقطة الصفر بلا وجهة محددة لما هو آتٍ، فهو يخشى أن يكمل طريقاً لا يجد نفسه فيه ولا يشعر خلاله بأيّ طعم للسعادة، وفي نفس الوقت يخشى أن يتخذ قراراً بالإنفصال فيكون بذلك قد أضاع فرصة عمره وشطر روحه التي لن يجد ضالته في

غيرها، وبذلك يكون قد حكم على نفسه بالوحدة لبقية أيامه في تلك الدنيا الواسعة.

لفظ يوسف أنفاسه في النهاية لينهي ذلك الصراع الدائر بين خليط الأفكار التي يضيق بها صدره... قام من مقعده متوجهاً نحو فراشه ليكتب نهاية لذلك اليوم الثقيل، لكنه وبمجرد قيامه عن المقعد اصطدمت قدماه فجأة بشيءٍ ما على الأرض... صُعِقَ يوسف من هول المفاجأة وتجمد في مكانه لعدة ثوانٍ، حين اكتشف أن ذلك الشيء الذي اصطدمت به قدماه لم يكن سوى جسد لوسيندا ملقاً على الأرض في حالة إغماءٍ تامٍ!

لم يدرِ يوسف كيف جاءت لوسيندا إلى غرفته ولا ماذا أصابها وأدى بها إلى تلك الحالة من الإعياء لكنه نحى تلك الأمور كلها جانباً وبسرعةٍ حملها بين ذراعيه متوجهاً نحو الفراش ليقوم بإفاقتها... لكن وقبل أن يصل إلى هناك فوجئ بلوسيندا تتلاشى بين يديه بغرابة شديدة لتنقسم في النهاية إلى حمامةٍ بيضاء وقطٍ أسود!

هرب القط سريعاً كما ظهر، بينما قطع طريق الحمامة قفص مفتوح أغلق بسرعة عقب دخولها مباشرة ليحمل في النهاية بين كفين يعرفهما يوسف جيداً!

- ها ها ها... هل انطلت عليك الخدعة؟

كانت هذه لوسيندا مرة أخرى... لكنّها تقف تلك المرة ضاحكة أمام يوسف بينما تمسك بين يديها القفص وبداخله حمامة ناصعة البياض تتقلب بين جنباته بحثاً عن أيّ منفذ للخروج... حاول يوسف أن يستفسر منها عما يحدث لكن الكلمات لم تعرف طريقاً نحو لسانه من هول الصدمة، فاستكملت لوسيندا حديثها الضاحك...

- أتلقى هذه الأيام دروساً في السحر، تعلمت بعض الحيل... هل أريك شيئاً آخر؟؟

لكن قبل أن يرد يوسف بأي إجابة ألقت لوسيندا بالقفص من بين يديها فسقط على الأرض فتضاعف حجمه عدة مرات بينما تحولت الحمامة إلى لوسيندا من جديد، ملقاة على أرضية القفص مصابة بالإغماء، وتغلف المشهد كله بصوت ضحكات عالية تشير لنجاح الفتاة في تنفيذ خدعة سحرية جديدة!

عاد يوسف بعينيه في ذهولٍ باتجاه صوت الضحكات لكنه لم يجد لوسيندا هناك، أدار وجهه من جديد نحو القفص فوجد الحمامة وحدها مجدداً داخله، تصارع بين أركانه

الأربعة لتعثر على منفذ للخروج، فزع يوسف بشدة فاستخدم يديه لسد أذنيه من الجانبين بينما أغمض عينيه وأطلق صرخة مدوية استيقظ على إثرها ليكتشف أن النوم قد غلبه بينما كان جالساً على مقعده بالغرفة مستغرقاً في أفكاره.

حاول يوسف فهم الرسالة المقصودة أو المعنى المنطوي وراء ذلك الحلم العجيب لكن كل محاولاته باءت بالفشل، غير أن انقباضاً في الصدر ونفوراً بدأ يتزايد عنده تجاه لوسيندا سيطرا على مشاعره بشدة عقب ذلك الحلم وجعلا قراره أقرب للحسم من أي وقت مضى... التقت يوسف هاتفه واتصل بلوسيندا يطلب لقائها بأحد الأماكن العامة للحديث حول أمر هام رفض الإفصاح عنه لها في الهاتف.

خلال دقائق قليلة كان يوسف جالساً أمام لوسيندا في أحد المقاهي وأمامهما منضدة تعلوها بعض المشروبات بينما كان هو يستعد للحديث في أمرٍ هامٍ كما يتضح من علامات وجهه الجادة.

لم يجد مفراً من الإفصاح لها عن كل شيء... حدثها عن كل تلك الأفكار والمشاعر التي تحيك بصدره وتنغص عليه

عيشه وتحول بينه وبين الاستمتاع بحياته معها، حدثها عن مستقبل علاقتهما الضبابي في ظل تلك الحالة من عدم التوافق التي يشعر بوجودها، حدثها أيضاً عن وحدته التي يخشاها من بعدها وعن عدم قدرته في نفس الوقت على الاقتراب منها واقتحام حدودها والنفاذ إلى أعماق روحها، ثم أكد لها في النهاية على أنه لم يطلب لقائها ليبلغها بقرار قد اتخذ بالفعل بانفصالهما أوخلافه، وإنما أقدم على تلك الخطوة ليثبت صدق رغبته في مشاركتها له في اتخاذ القرار المناسب الذي يحقق الكم الأكبر من الرضا لكلا الطرفين على حد سواء.

لم تصدر لوسيندا أي رد فعل عنيف أو مبالغ فيه كما كان يتوقع يوسف، وإنما تلقت كل ذلك بهدوءٍ شديدٍ ودون أي دهشةٍ أو صدمةٍ، تماماً كمن كان يتوقع أن يبوح يوسف بكل ذلك، أو كمن يستمع إلى ذلك الكلام الصادم من شخص لا يعنيه أمره ولا يهتم كثيراً لبقائه معه من عدمه... فقط أكدت على أن كل علاقة تمر بمنحنيات تتراوح بين الصعود والهبوط وأن كل ما يشعر به يوسف أمر طبيعي نتيجة سرعة خطبتهما بعد لقائهما الأول بأيام قليلة دون أن يمنح نفسه فرصة كافية للتعرف عليها

بشكل أكبر... تعجب يوسف كثيراً من هدوئها و ردودها الواثقة غير القلقة، لكنه وافقها الرأي في النهاية حين لم يجد ما يمكن أن يضاف بعدما قدمت هي سبباً مقنعاً للمشكلة ثم وضعت الحل المناسب لها في كلمات موجزة.

استأذنت لوسيندا للذهاب للمرحاض فوافق يوسف، لكن وبمجرد ذهابها انسكب الزيت فجأة على نار المشكلات الجارية بينهما بعدما كانت قد بدأت في الخمود! ... لمح يوسف طرف ورقة تظهر من حقيبة لوسيندا المفتوحة أمامه على المنضدة، تملكه الفضول فسحبها ليقرأ ما بها، وهنا كانت الصاعقة!!

كانت الورقة عبارة عن جواب موجه للوسيندا وكان مضمونه كالآتي...

" حبيبتي لوسيندا... ستظلين دوماً أغلى ذكرياتي السعيدة وأجمل من رأت عيني من الدنيا بكل ما فيها، وستظل روحك منبعاً لذلك الحنو الذي يمس أعماق روحي ويربت على قلبي في أحلك اللحظات حين تضيق الدنيا وتتأزم بي الأمور... دمت لقلبي موطناً ولروحي مؤنساً وليحفظ الله حبنا ما دامت الدنيا وبعدما تفنى...

استحوذ الغضب على يوسف فلم يستطع إكمال قراءة الجواب، ألقى الورقة على المنضدة وانصرف من دون حتى أن ينتظر خروج لوسيندا من الحمام.

عاد يوسف للمنزل، دخل إلى غرفته وفتح لوحاته وعاد للرسم من جديد، لم تمضِ عدة دقائق بعدها حتى علا رنين هاتفه، تفحص الهاتف فقرأ اسم لوسيندا على الشاشة فامتنع عن الرد وأغلق الهاتف وغاص بين لوحاته في صمت لعدة ساعات متتالية قبل أن ينتهي أخيراً ويستعد للذهاب للنوم... فتح الهاتف فوجد رسالة من لوسيندا مرفقة بصورة، فتح الرسالة ليتفاجأ بما لم يخطر أبداً ببالله!!

لوسيندا لم تعتذر ولم تبرر ولم تنكر كما كان يتوقع، وإنما بدلاً من ذلك كله أرسلت له صورة الرسالة نفسها التي قرأها بالمقهى مسبوقة بحديث يؤكد له أن صاحب تلك الرسالة لم يكن سوى يوسف نفسه! ... تذكر يوسف أنه بالفعل لم يكمل قراءة الرسالة حتى النهاية آنذاك من شدة غضبه... أسرع بنظره نحو نهاية الرسالة فرأى توقيعه... إضافة إلى أن الرسالة مكتوبة بنفس خط يده الذي لا تخطئه عيناه أبداً.

صُعق يوسف كثيراً وانتابته الحيرة ثم أكمل بقية الرسالة فوجد لوسيندا تحدثه عن إصابته بفقدان الذاكرة منذ فترة من الزمن وأنها ليست المرة الأولى التي يحدث بها موقف مشابه لهذا، وفي كل مرة ينسى هو ويتهمها بالخيانة أو ما شابه... لم يجد يوسف أمامه سوى الاعتذار من لوسيندا ثم استأذنها للذهاب للنوم بسبب إرهاقه الشديد.

في الواقع لم يرغب يوسف في النوم كما أظهر للوسيندا، وإنما شق على عقله استيعاب كل تلك الأمور المستحيلة التي تحدث من حوله فأراد أن يحظى بوقت مستقطع يقف خلاله على أرض ثابتة، يمكنه من فوقها أن يتحقق من ماهية الأشياء.

فيصبح بإمكانه أن يعلم من يكون هو وأين يوجد ومنذ متى أتى إلى هنا وما الذي جرى معه وأدى به إلى ذلك كله... تمنى لو أن بإمكان أحدهم أن يضربه على رأسه ضربة قوية يستيقظ على إثرها مما هو فيه فيكتشف أن كل ما يحدث من حوله لا يتعدى كونه أحد أحلامه السخيفة التي لا صلة لها بالواقع.

بعد تفكيرٍ طويلٍ استقر يوسف في النهاية على التسليم بصحة رواية لوسيندا، وبخاصة أنه توجد مؤخراً العديد

من الشواهد التي تؤكد فقدانه للذاكرة، لاحظها في أكثر من موقف خلال تعاملاته اليومية مع أمه ومع والده بالعمل... وهنا أصبحت كل الاحتمالات واردة فيما يتعلق بعلاقته بلوسيندا في الآونة الأخيرة، فمن الممكن جداً أن تكون لوسيندا بصفاتها الشخصية وتصرفاتها الحالية غير المألوفة من يوسف هي نفسها رفيقة أحلامه التي تعرف عليها قبل عدة سنوات في المنام بكلِّ ما فيها، وأن الفتاة التي زارته في أحلامه الأخيرة هي من تتحقق فيها مشكلة الاختلاف عن مخطوبته الحالية ورفيقة أحلامه السابقة، وعندها تكون المشكلة قد انتهت ولم يعد عليه سوى أن يترك أحلامه جانباً ولا يحاول التجاوب معها أو تفسيرها.

لكن إن صح ذلك فهل من المنطق ألا يشعر نحوها بذلك الشعور من الألفة والسكينة الذي لم يجربه قط مع سواها؟ ... هل للقلب ذاكرة يمكن أن تمحى هي الأخرى كما الحال مع العقل؟ ... وهل يمكن أن تفقد الروح كافة حواسها للدرجة التي تؤثر على قدرتها في التعرف على تلك الروح الأخرى التي تنتمي إليها؟ ... دارت تلك الأسئلة

كلها في خاطر يوسف في محاولة منه لجمع شتات نفسه والنهوض من جديد.

قرر يوسف في النهاية أن ينحي كل شيء في الدنيا جانباً وأن يستسلم للنوم، فلعلَّ النوم يكون مخلصه الوحيد من هذا كله وبمجرد استيقاظه يكتشف أن كل تلك الأزمات قد انتهت وعادت كل الأمور لطبيعتها الهادئة من جديد... لكن وبمجرد دخوله في النوم استيقظ فجأة على صوت صراخ أمه، توقظه ليساعدها في البحث عن والده الذي لم يعد إلى المنزل حتى ذلك الوقت المتأخر من الليل... نهض يوسف من فراشه متأملاً الهاتف فاكتشف أن الساعة تشير إلى الثانية فجراً، وبالتالي فالأمر يستحق ذلك الفزع البادي على وجه والدته وبخاصة أن والده اعتاد العودة للمنزل كل يوم عقب غروب الشمس على الأغلب، ومع انغلاق هاتفه أصبح الوضع حقاً في غاية الخطورة!

غادر يوسف المنزل دون تفكير، لكن وقبل أن يتخذ أي خطوة فوجئ باتصال من لوسيندا غير متوقع في ذلك الوقت من الليل، أجاب على الفور وقبل أن تنطق بكلمة بادرها هو بالكلام أولاً...

- لوسيندا لا وقت لدي للكلام... والدي لم يعد إلى المنزل منذ الصباح ولا أدري أين هو الآن.

- يوسف... حبيبي... أكره أن أذكرك بهذا... لكن والدك توفي في حادث سيارة قبل ثلاثة سنوات!

- ماذا تقولين؟!! ... كفي عن هذا يا لوسيندا... لست في الثمانين من عمري لتفسد ذاكرتي بتلك الدرجة البالغة!!

- صدقني عزيزي... مات والدك منذ عدة سنوات وأصيبت والدتك بالجنون من وقتها فصارت تستيقظ كل يوم في وقت متأخر من الليل وتنتظر عودته.

- لوسيندا... أخشى أن أصاب أنا بالجنون إن صدقتك... دعيني الآن وشأني فلست بحالة تسمح لي بمواصلة الكلام.

أنهى يوسف المكالمة وفتح باب سيارته ثم جلس يلتقط أنفاسه المتلاحقة ويهدئ من روع نبضات قلبه المتسارعة بلا توقف محدثاً نفسه...

- رباه! ... هل يمكن أن تكون لوسيندا محقة في كل هذا؟ ... هل مات والدي حقاً وجنت والدتي من يومها؟ ... وكيف لي أن أصدق أي شيء يحدث بحياتي بعدها إن سلمت بذلك؟

اتصل يوسف على الفور بالأستاذ " منير" السكرتير الشخصي لوالده ومساعده الخاص في إدارة أمور الشركة، سأله عن موعد مغادرة والده للمكتب هذا اليوم فأخبره أن والده شعر ببعض التعب فاتصل بطبيبه الخاص الذي طلب منه الحضور إلى عيادته لإجراء بعض الفحوصات، ليغادر الوالد المكتب مبكراً هذا الصباح دون أن يعود، استفسر يوسف من الأستاذ منير عن اسم ذلك الطبيب فأنكر معرفته به، وهنا توجهت كل الاحتمالات في عقل يوسف نحو شيء واحد لا شك فيه!

أدار يوسف سيارته وتوجه مباشرة نحو عيادة الدكتور وليد، ترك السيارة في شارع خلفي وترجل نحو المنزل الذي يحوي العيادة، ساعده وزنه الخفيف ورشاقته في التسلق بخفة نحو النافذة، اقتحمها ودخل بسرعةٍ إلى العيادة ليكتشف أن كل شكوكه واحتمالاته في تفسير ذلك اللغز كانت في محلها تماماً!!

بشكلٍ لا يصدق وجد يوسف والده جالساً على أحد الكراسي بالعيادة بينما قيدت يداه وقدماه بإحكامٍ! ... أسرع في فك قيود والده واصطحبه عبر الباب نحو الخارج بعدما تأكد من خلو المكان من أي شخص آخر بخلافهما.

اتصل يوسف بعدها بالشرطة ثم توجه نحو القسم وحرر محضراً ضد الدكتور وليد سراج يتهمه فيه باختطاف والده ومحاولة قتله وتعريض حياته للخطر... تم إلقاء القبض على ذلك الطبيب الشهير من عيادته في الصباح، لكن عند مواجهته بالتهم المنسوبة إليه أنكرها كلها تماماً، وبعد عدة أيام من التحقيقات المتواصلة قررت النيابة إخلاء سبيله لعدم ثبوت أية أدلة تشير لوقوع الجريمة!

استشاط يوسف غضباً وقرر التخطيط للانتقام من ذلك الطبيب الخسيس الذي لا يراعي أياً من آداب المهنة، غير أن رغبة ملحة من فضوله لمعرفة الدافع وراء إصرار الدكتور وليد على خطف والده بعيادته وتصريحه أكثر من مرة برغبته في إجراء جراحة عاجلة له بهدف إنقاذ حياته -كما يدعي -جعلت يوسف يتمهل في تنفيذ فكرة الانتقام.

إذ كيف لطبيب يرغب في إنقاذ حياة مريضه أن يقوم بخطفه وتكبيله بذلك الشكل المروع ومن ثم يتركه وحده في ذلك المكان وبتلك الحالة طوال الليل! ...هل يمكن أن يكون الدكتور وليد أحد أفراد تنظيم عصابي يعمل في سرقة الأعضاء؟! ... أيعقل أن يكون ذلك هو

الدافع الرئيسي للجريمة التي حدثت لوالده؟ ... وهل يمكن أن يجد هؤلاء فائدة ترجى من أعضاء ذلك الشخص المتقدم بالعمر -الذي يعاني من الكثير من الأمراض والتي استدعى أحدها أن يتم نقل الأعضاء إليه من متبرع آخر-لتلك الدرجة التي تجعل ذلك الطبيب يصر على إجراء الجراحة له تحديداً وخطفه إذا لزم الأمر؟

كان يوسف قد اتصل بلوسيندا عقب قيامه بإنقاذ والده مباشرة وساق إلى مسامعها وابلاً من السباب والهجوم متهماً لها بخداعه وإيهامه بفقدانه للذاكرة طوال تلك الفترة، إلى جانب اشتراكها مع والدها في الجريمة عن طريق محاولة تضليله عن الحقيقة... لم يترك لها المجال للرد ولم يستمع إلى توسلاتها واعتذاراتها الكثيرة ولم يلتفت حتى إلى بكائها في نهاية المكالمة وأحاديثها المختلطة عن وجود دافع لديها قد يبرر كل ما فعلته بعض الشيء... فقط أغلق المكالمة وقام بحظر رقمها دون تفاهم.

دخل يوسف إلى غرفته في حالة غفلة كاملة عن الزمن في واحدة من أعنف صور الهروب من الواقع... سكن غرفته من جديد لأيام طوال، لا ينظر في هاتفه ولا يهتم لمعرفة

الوقت، يمضي أغلب فترات اليوم في النوم، بينما يقضي الوقت القليل الذي يستيقظ فيه في الرسم.

حتى لوحاته اختلفت كثيراً في طبيعتها ومحتواها تماماً ككل شيء آخر يقع داخل حدود نفسه المنهكة وخارجها، فأصبح معظمها يحوي رسوماً تشير إلى الحزن بينما بعضها الآخر يشير إلى العزلة والرغبة في الموت، لكن الشيء الملاحظ بقوة أكثر من غيره في لوحاته كان غياب لوسيندا عن جميع رسوماته الأخيرة، وهي التي لم تغب عن لوحة واحدة من لوحاته لسنوات!

استمر على تلك الحالة لأيام طوال دون أي خطوة جديدة يتخذها خلال يومه الذي بات يتكرر بحذافيره كل يوم، غير أنه ذات مرة أراد أن يعرف تاريخ اليوم حين أنهى إحدى لوحاته المميزة ليدونه عليها كي يتذكر فيما بعد سبب المشاعر الفريدة التي تظهرها تفاصيل الرسمة، فالتقط هاتفه للمرة الأولى منذ أيام كي يتعرف على التاريخ، وهنا اكتشف رسالة مرسلة من لوسيندا عبر حسابها على **facebook** ففتح الهاتف عاقداً العزم على

حظر حسابها، لكن عينه وقعت على كلمات الرسالة فبدأ بالقراءة دون أن يشعر...

" يوسف... أرجوك امنحني فرصة للشرح... سأصارحك بكل شيء وأخبرك بالحلقات التي كنت تفقدها كاملة منذ التقينا، امنحني فقط فرصة للشرح وأكمل قراءة الرسالة وأعدك أن تكون رسالتي الأخيرة "

كان يوسف على وشك إغلاق الرسالة والمضي قدماً في حظر لوسيندا، غير أن فضوله ألح عليه بشدة في إكمال القراءة، فلربما جاءت بجديد يوضح له كل المبهمات ويشفي صدره ويريح نفسه المعذبة، مرر يوسف الرسالة للأسفل ليكمل القراءة...

" أعلم أنه من الصعب على عقلك أن يصدق ما سأرويه لك الآن، وأعلم أنك ستتهمني بالكذب والخداع، لكني أقسم لك أنني صادقة فيما أقصه هذه المرة... صدقني يوسف تلك هي الفرصة الأخيرة لي ولك ولذوينا في النجاة، الأمر لا يعدو كونه علاقة ناجحة أو غير ناجحة أو خلاف ينشب بين شخصين أو أكثر.

يوسف بداية يجب أن تعلم أننا الآن لسنا على كوكب الأرض ولسنا حتى في المجرة الشمسية كلها! ... أعلم أن كلامي سيبدو لك سخيفاً لكنه لا يعدو كونه الحقيقة مع الأسف... نحن على كوكب " ريمتون " في مجرة " اف بي ٣ " ... ذلك الكوكب هو نسخة مطابقة لكوكب الأرض، يعيش على ظهره نسخة مماثلة تماماً من كل شخص يعيش على الأرض بنفس اسمه وصفاته وكل شيء آخر عنه، بحيث أنه توجد مثلاً نسخة منك على ظهر هذا الكوكب، تماثلك تماماً في ملامحك واسمك وصفاتك، والده أيضاً له نفس ملامح والدك وصفاته وكذلك جميع الأشخاص المحيطون به هم نسخة تطابق تماماً أولائك المحيطون بك على الأرض.

توجد فقط بعض الاختلافات تتمثل في طباع كل فرد وشخصيته واختياراته وتصرفاته خلال حياته، وذلك تحديداً هو ما أدى إلى تفوقنا العلمي وتطورنا بعض الشيء عنكم، فتوصلنا إلى السفر عبر المجرات واكتشاف عوالم جديدة، إلى جانب التقدم العلمي في الجانب الطبي، وهو تحديداً محور مشكلتنا التي سأتطرق إليها خلال حديثي الآن.

لم أتفاجأ عندما أخبرتني بعدم وجود مشاعر حقيقية داخلك تجاهي وعدم حدوث أي نوع من الألفة بيننا، ذلك لأنني لست تلك الفتاة التي زارتك في أحلامك لسنوات طوال وصرت من يومها تبحث في كل مكان عنها!
أنا فعلاً أحب يوسف لكنه ليس أنت وإنما نسختك على هذا الكوكب، أما أنا فلوسيندا نسخة حبيبتك الأرضية وروحك التائهة التي لم تلتقِ بها حتى الآن سوى في أحلامك!

لست سيئة إلى هذه الدرجة التي تتخيلها، لست سيئة على الإطلاق في الحقيقة وإنما تعرضت لضغوط وابتزازات جمة لآتي بك إلى هنا على سطح كوكب ريمتون... الدكتور وليد ليس والدي وإنما هو محتال كبير يسعى نحو المال!

في البداية كان الأطباء هنا يلجأون لزراعة الأعضاء الطبيعية للمرضى عن طريق نقلها من متبرعين مما أدى إلى انتشار عصابات سرقة الأعضاء... منذ عدة سنوات كان يوجد طبيب في الولايات المتحدة يدعى "مايكل هيبتون" عمل في السر بشكل غير مشروع كفرد بإحدى عصابات سرقة الأعضاء محققاً بذلك ثروة باهظة من الدولارات.

وبعد عدة أعوام على هذا الحال استفاق ضميره فترك العمل في ذلك المجال وتفرغ لأبحاثه حتى استطاع أن يصل في النهاية إلى إختراع كلى اصطناعية يمكنها أن تؤدي دور الكلى الطبيعية دون أدنى اختلاف، ثم توالت اختراعته فتوصل لصناعة نسخ اصطناعية من بقية الأعضاء بحيث تؤدي الوظيفة نفسها تماماً، وهو الأمر الذي قضى على سرقة الأعضاء تماماً على الكوكب منذ ذلك الوقت، خصوصاً مع رخص ثمن تلك الأعضاء الاصطناعية.

أراد ذلك الطبيب الأمريكي أن يكفر عن أخطائه فخصص مبلغاً كبيراً من ثروته بحيث يتم منحه كل عام في احتفال سنوي عن طريق سحب رقم ثم الإعلان عنه في مؤتمر خاص، بحيث يتم في البداية بيع الأعضاء الاصطناعية في علبة مخصصة لذلك الغرض يكون لها رقم خاص **(serial number)** وبداخلها توجد ٤ أعضاء من نوع واحد (الكلى مثلاً)، لكل واحد منها يوجد أيضاً رقم مستقل، بحيث يشتري الأطباء تلك الأعضاء الاصطناعية في تلك العلب ثم في ميعاد محدد كل عام يتم

الإعلان عن رقم العلبة الفائزة ورقم الكلى الفائزة داخلها، يفوز الطبيب الذي يملك العلبة ذات الرقم الفائز وبداخلها الكلى ذات الرقم الفائز بمبلغ ١٠ ملايين دولار، وبذلك يكون ذلك الطبيب الأمريكي قد ساهم في زيادة الإقبال على شراء الأعضاء الاصطناعية وفي نفس الوقت استخدم الأموال نفسها التي جمعها من سرقة الأعضاء في محاربة سرقة الأعضاء بأفضل طريقة ممكنة.

مع الأسف اكتشف الدكتور وليد أن بحوذته العلبة ذات الرقم الفائز وبالتالي أصبحت الكلى الفائزة بلا شك هي واحدة من الأربعة التي كانت موجودة بالعلبة! ... فسول له طمعه أن يقوم بإجراء أربعة جراحات عكسية لاستخراج الكلى الاصطناعية من أجساد هؤلاء الأشخاص الأربعة التي توجد الكلى ذات الرقم الفائز داخل جسد واحد منهم، والد يوسف (نسختك) هو واحد من هؤلاء الأشخاص الأربعة الذين يرغب الدكتور وليد في انتزاع الكلى الاصطناعية من أجسادهم بأي ثمن، حاول في البداية أن يقوم بذلك بالعديد من الطرق، غير أن يوسف كان قد اكتشف مخططه الخبيث فقام الطبيب باختطافه وإخفائه في مكان لا يعرفه أحد.

حاولت مراراً إقناعه بترك يوسف وإعادته لي فرفض وطلب مني أن يقوم بإرسالي في رحلة لكوكب الأرض لإحضارك ومن ثم إيهامك بحبي لك من أجل التأثير عليك لتقنع والد يوسف (نسختك) أنه بحاجة لإجراء الجراحة بعيادة الدكتور وليد، فرفضت في البداية لعدم رغبتي في التسبب في إيذاء أي انسان، ثم وافقت بعدها مضطرة لأستعيد يوسف، رفيق روحي الوحيد في الحياة.

هل تذكر تلك المرة التي شعرت فيها بالإعياء خلال لقاءاتنا الأولى في البداية؟ كانت تلك هي اللحظة التي انتقلنا فيها إلى كوكب ريمتون بعد فقدانك للوعي بشكل مقصود مني... في النهاية أرجو منك مسامحتي، لقد أخطأت حقاً لكن كل ما فكرت فيه حينها هو محاولة إنقاذ يوسف، الآن أنا بحاجة لمساعدتك، فلنتعاون سوياً للخلاص من ذلك المجرم، لأستعيد يوسف وتعود أنت لكوكبك وفي نفس الوقت يصبح بإمكاننا أن ننقذ والد يوسف من الهلاك، أرجو منك أن تصدقني هذه المرة وتتعامل مع الأمور بجدية حتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه"

انتهت رسالة لوسيندا إذاً لتضرب بكل الهموم التي يعج بها صدر يوسف عرض الحائط وتضع بدلاً منها هموماً أخرى أكثر وحشية وعنفاً!

أغلق يوسف هاتفه وتمدد في فراشه يتأمل سقف الغرفة شارداً في ذهولٍ بينما تلقي به الأفكار يميناً ويساراً بلا توقف.

لم يصدق يوسف بالطبع كل ما ورد برسالة لوسيندا، فكيف يمكن أن يثق بكلامها مرة أخرى بعدما قامت من قبل بخداعه، إضافة إلى أن كل ما ورد برسالتها مخالف تماماً للعقل والمنطق، وإن حمل في ظاهره إجابات شافية لكل المبهمات التي عجت بها حياته خلال الأيام الماضية كلها، بداية من عدم شعوره بالألفة تجاهها ومروراً بعدم تذكره لأبسط الأشياء خلال تعاملاته مع والديه، وانتهاء بعدم فهمه لذلك الإصرار المستميت من الدكتور وليد بإجراء جراحة لوالده.

بالفعل أوجدت رسالة لوسيندا جميع الإجابات المريحة للعقل فيما يخص كل ذلك، لكن التسليم بصحة رسالتها يتطلب كذلك التسليم بصحة روايتها فيما يخص السفر عبر الكواكب والمجرات ووجود نسخ مطابقة لكل

الأشخاص وكل تلك المهاترات الأخرى التي يصعب أن يوجد عاقل يصدقها... وبالتالي فقد أصدر يوسف في النهاية حكماً قاطعاً على رسالة لوسيندا يصنفها باعتبارها أحد الأكاذيب الجديدة التي لا تكف تلك الفتاة عن إطلاقها.

ازدادت حدة حالة الاكتئاب والعزلة التي يمر بها يوسف عقب قراءة تلك الرسالة فصار لا يغادر الفراش، تماماً كالمريض الذي ينتظر الموت في أيامه الأخيرة بالحياة، لم يعد حتى يمارس هوايته بالرسم ولا أي نشاط آخر، تحول من شخص روتيني يقوم ببعض الأعمال الرتيبة المتكررة إلى كتلة من الصمت، لا يتكلم ولا يفعل أي شيء سوى البقاء في سريره لساعات طوال شارد الذهن ثم يعود للنوم من جديد.

تذكر يوسف أنه كان قد أحضر دفتراً جديداً قبل بضعة أيام وتركه بأحد الأدراج في غرفته ليستخدمه في تدوين بعض الخواطر حين تتعقد معه الأمور أكثر من اللازم ويحتاج إلى تسجيل بعضاً من خواطره... فتح يوسف الدرج وأخرج الدفتر ثم أحضر قلماً وفتح الدفتر ليبدأ بالكتابة، وهنا كانت المفاجأة!

الدفتر ممتلئ بالخواطر والذكريات المؤرخة، مكتوبة بخط يوسف! ... الكثير من الخواطر تملأ جنبات الصفحات في معظم أوراق الدفتر من البداية وحتى النهاية... ترى كيف حدث ذلك ومن أين جاءت كل تلك الخواطر والذكريات التي لا يذكر هو عنها شيئاً وكيف امتلأ الدفتر بتلك الصورة ومتى حدث ذلك؟

لم يستطع يوسف أن يجد تفسيراً مقنعاً لما حدث وهو الذي برأ ذاكرته قبل عدة أيام مما نسب إليها من افتراءات تفيد بضعفها وفقدانها للكثير من المعلومات الهامة خلال الفترة الماضية، فلا يجرؤ على إعادة الظن السيء بها بعدما بدأت الثقة في العودة بينهما شيئاً فشيئاً خلال الأيام الماضية عقب اكتشافه كذب لوسيندا وخداعها له فيما يخص هذا الشأن.

ترك تفسيراته وتحليلاته الكثيرة بشأن ما حدث وفتح صفحة في وسط الدفتر وبدأ بالقراءة، فكانت الخاطرة المكتوبة كالآتي...

" اليوم هو الثلاثاء ٣١-١-٢٠١٢ .. لا أذكر أنني مررت من قبل بيوم أسعد من هذا، صارحت لوسيندا بحبي لها ورحبت هي باعترافي وبادلتني الشعور نفسه.

بالطبع كنت أشعر بحبها من قبل لكن خوفي من فقدانها أو من أية عواقب أخرى مخزية كان يحول بيني وبين ذلك الاعتراف حتى أتى ذلك اليوم السعيد وتأكدت من حبها لي... أنا حقاً أسعد إنسان في تلك الدنيا... حتى نسختي الأرضية لا أظنها الآن تشعر بنصف سعادتي"

- نسخته الأرضية؟؟

سأل يوسف نفسه ذلك السؤال بذهولٍ تام... ترى من يقصد الكاتب بالنسخة الأرضية؟ ... هل كان ذلك لا يتعدى كونه أكثر من مجرد مزحة أو مبالغة من نوع ما؟ ... لكن ومع كل جملة جديدة كان يوسف يتأكد أكثر أن ذلك الخط هو بالفعل خطه الذي يحفظه جيداً ويستطيع تمييزه من بين ألف من الخطوط... فكيف يستوي ذلك؟ ... وكيف يمكن أن يستقيم المعنى المراد حتى لو افترضنا جدلاً أن يوسف هو من كتب هذا الكلام بالفعل وأن السبب في عدم تذكره أي شيء عنه يعود فقط لضعف ذاكرته؟

قلّبَ يوسف الصفحات من جديد ثم استقر على إحداها وبدأ يقرأ، بدا أن الخاطرة كانت مختلفة فيما يتعلق بموضوعها هذه المرة مقارنة بسابقتها وكان نصها كالتالي...

" اليوم هو الأحد الثامن والعشرون من يناير ٢٠١٨ ... اليوم يعتبر هو البداية الحقيقية لعملي مع والدي، أول تكليف منه بإنهاء صفقة من البداية وحتى النهاية، أخبرني والدي أني سألتقي بالأستاذ "عصام" صاحب أكبر شركة من حيث نسبة التعاملات والصفقات مع شركة والدي، طلب مني اليوم أن أنجز تلك الصفقة وحدي لتكون البداية لتدشين عملي بشكل فعلي في إدارة أعمال والدي... سأسافر إلى الإسكندرية حيث سألتقي بالأستاذ عصام، أتمنى أن يحالفني التوفيق لكسب ثقة والدي وطمأنته أن الأمور تسير على ما يرام فيما يتعلق بانسجامي في العمل "

تذكر يوسف هذه المرة شيئاً عن تلك الخاطرة، لكن ما تذكره لم يتعلق بالخاطرة نفسها أو تاريخ كتابتها وإنما تعلق بما سأله والده عنه حين التقاه بمكتبه للمرة الأولى عقب الوعكة الصحية التي انتابته خلال وجوده مع لوسيندا بالحديقة في بداية لقاءاتهما، يذكر يوسف جيداً أن والده حينها سأله عن انجاز صفقة الأستاذ عصام التي لم يكن يتذكر أي شيء عنها حينها، وأرجع عدم تذكره لها وقتها لفقدانه للذاكرة عقب ما حدث.

لكن ما يثير الدهشة حقاً أن ذاكرته مازالت تعمل بكفاءة بتلك الدرجة التي تجعله يتذكر جيداً ذلك اللقاء الذي جمعه بوالده في مكتبه ويذكر كل كلمة قيلت فيه، في حين لا يمكنه أن يتذكر أي شيء عن كل تلك الخواطر التي من المفترض أنه هو من قام بكتابتها كلها بخط يده مرفقة بتفاصيل الأحداث والتواريخ التي تسهل من مهمته في التذكر في حالة نسيانه لها... فكيف تتسم ذاكرته بالقوة عند تفاصيل صغيرة غير هامة من السهل جداً نسيانها بينما تمحو أحداثاً هامة مدونة بخط يده ومؤرخة بتفاصيلها الدقيقة!

ترك يوسف كل تلك الغرائب الآخذة في الزيادة شيئاً فشيئاً وقلّب صفحات الدفتر من جديد واختار صفحة من بين الصفحات الكثيرة الممتلئة بالخواطر... ثبت الصفحة وبدأ في القراءة فكانت الخاطرة هذه المرة غير مؤرخة وكان محتواها كالتالي...

" أجرى والدي اليوم جراحة ناجحة لزراعة كلى اصطناعية بدلاً من الكلى التالفة، سيرتاح أخيراً من غسيل الكلى الذي كان بمثابة عذاب يتكرر بشكل منتظم بالنسبة له، قلقت عليه كثيراً، لكن آمل أن تتحسن صحته قريباً... صار

كل شيء على ما يرام خلال الجراحة، غير أن ذلك الطبيب لا يعجبني أبداً سواء بطريقة تعامله مع المرضى ومساعديه من الأطباء والممرضين أو غيرها من التصرفات، إلى جانب جشعه المبالغ فيه وقيامه بزيادة المبلغ المتفق عليه لإجراء الجراحة أكثر من مرة مستغلاً قلقي على والدي ورغبتي في إنقاذ صحته مهما كان الثمن... لولا ملامحه التي توحي بانتمائه للبشر لظننت أنه وحشاً يرتدي ملابس طبيب "

لفت انتباه يوسف عدة أشياء هذه المرة، أولها أن الخاطرة تحدثت عن كلى اصطناعية، وهو الأمر نفسه الذي ورد في رسالة لوسيندا، علاوة على ذكر الكاتب لقيام والده بإجراء جراحة بالكلى وتحدثه عن سوء معاملة الطبيب المنفذ للجراحة وجشعه الشديد، وهي كذلك صفات يمكن أن تتفق بدرجة ما مع رسالة لوسيندا، غير أن يوسف لم يعر ذلك كله انتباها، وإنما شغل باله من بين ذلك كله فقط عدم تذكره أي شيء عن كتابة هذه الأحداث على الرغم من تأكده من مطابقة خط كتابتها لخطه الشخصي، وهو

الأمر الذي زاد من حيرته كلما استمر في قراءة المزيد من الخواطر.

خاطرة أخرى كان يتحدث فيها الكاتب بلغة أكثر حدة هذه المرة، على ما يبدو فقد كان غاضباً من أمر ما حدث معه ذلك اليوم... ثبت يوسف الصفحة وأمعن النظر فيها واستمر في القراءة فكان مضمونها كالتالي...

" اليوم تحققت كل شكوكي وتفسر سر عدم ارتياحي لذلك الطبيب الخالي من الإنسانية الذي أجرى لوالدي الجراحة، فقد هاتفني اليوم ذلك الخسيس ليلقي على مسامعي عرضاً دنيئاً يطلب مني فيه المخاطرة بحياة والدي والموافقة على إجرائه لجراحة أخرى يتم فيها استبدال الكلى الاصطناعية بأخرى حقيقية يزعم أنّها أخذت من شخص قد فارق الحياة بمجرد وفاته وقبل أن تتوقف أعضاء جسمه عن العمل، مدعياً أن العلم مهما تطور فمازالت منتجاته يتخللها بعض العيوب التي ترجح كفة الأعضاء الطبيعية عن الاصطناعية.

أما عن مبرره في ذلك كله فيكمن في رغبته في إجراء بعض الإختبارات على الكلى الاصطناعية بعد فترة من

دخولها جسم الإنسان لاختبار مدى كفاءتها، وهو الأمر الذي رفضته تماماً بشكلٍ قطعي".

بدأت قناعة يوسف تتجه بعض الشيء إلى تصديق ما سردته لوسيندا في رسالتها الأخيرة، وبخاصة أن تلك الخواطر -المكتوبة بخط يده والتي لا يذكر هو شيئاً عن كتابته لها أو حتى عن تلك الأحداث التي تتحدث عنها - تتفق بدرجةٍ كبيرةٍ مع كل ما روته لوسيندا في رسالتها الأخيرة.

بالتالي أصبح عليه الاختيار بين التسليم بفقدانه التام للذاكرة بذلك الشكل الفج الذي يصعب أن يتحقق بكافة أركانه وبين التسليم بصحة رواية لوسيندا التي يصعب أن تتصادف مع كل تلك الأحداث المذكورة بالتفصيل بتواريخ مختلفة في الخواطر الموجودة بالدفتر.

غير أن يوسف لم يكن يعلم أنه كان على موعد مع خاطرة فارقة ستحسم كلماتها الجدل الدائر داخل عقله وتساعده على اتخاذ قراره براحة صدر دون أدنى مشكلة.

حملت الخاطرة هذه المرة الكثير من القلق من شيء ما على وشك الحدوث، بدا ذلك في كل كلمة موجودة فيها، قصد

الكاتب سردها لتكون دليلاً يعتمد عليه في الإيقاع بالجاني في حالة حدوث جريمة يكون الكاتب هو المجني عليه فيها، وجاء نص الخاطرة كالتالي...

" أكتب هذه الخاطرة تلك المرة لتكون ذكرى أقرأها بنفسي مرة أخرى إذا ما مرت الأمور بخير في النهاية ولم يحدث ما استشعر قرب وقوعه، أو تكون الخاطرة نفسها دليلاً يقع في يد من يمكن أن يقرأها غيري في يوم من الأيام ليرشد على الجاني في حالة إذا ما وقع لي مكروها.

تلقيت اليوم مكالمة من الدكتور وليد سراج، تخللها تهديد صريح بقتلي أو القيام باختطافي والتنكيل بي في حالة استمراري في رفض عرضه الحقير بإجراء جراحة استبدال الكلى لوالدي، رفضت من جديد بالطبع وفكرت في إبلاغ الشرطة، لكن بعد استشارة بعض الأصدقاء تبين لي أن ذلك الطبيب المخادع يملك العديد من المحامين الذين يجيدون التحايل في القانون تماماً كما يجيد هو جمع الأموال بالطرق الملتوية باستخدام الطب، وأنه معروف بالكثير من المواقف المشابهة التي لا يترك خلفه فيها دليلاً واحداً يمكن الاعتماد عليه في إدانته، وبالتالي فإني فقط

أقوم بإضاعة الوقت وكشف نواياي للخصم في حالة قيامي بإبلاغ الشرطة.

أتمنى الحياة السعيدة لكل عائلتي ووالداي ولك لوسيندا، سواء رافقتكم جميعاً في تلك الحياة أو قضى الله أمراً كان مفعولاً ولم يكتب لي أن أرافق كم فيها.

رجاء لا تنسوني ولا تتسامحوا في حقي إذا ما حدث لي مكروهاً، حتى يقع ذلك الطبيب الخبيث في شرور مكره وينكشف أمره أمام الناس جميعاً وتطاله يد العدالة الصارمة... أحبكم جميعاً ولن أنسى اللحظات السعيدة التي مررنا بها كلنا سوياً أبداً... أما أنت لوسيندا فأرواحنا متصلة برباطٍ متينٍ لا تنفصل عن بعضها أبداً ولا يمنعها بعد أو فناء عن الاستمرار في التواصل، استعصري قلبك واستجمعي شتات روحك واطلبي منها أن تنادي روحي تجبها أينما كانت ومتى كانت، فثمة طريقة تواصل واحدة فقط بين البشر لا يمكن إيقافها أو قراءة شيفراتها بأيّ طريقة كانت... تلك الطريقة هي " نداء الروح "

أغلق يوسف الدفتر وقد تأكد تماماً بما لا يدع مجالاً للشك من صدق رواية لوسيندا الأخيرة حول تفسير الأحداث، لكن ومع التسليم بصحة ما ورد برسالتها

يكون لدى يوسف معضلة أخرى عليه التعرف على أسرارها أولاً قبل أن يتخذ قراره في الخطوة التالية التي يجب عليه القيام بها... كوكب ريمتون!

أراد يوسف أن يعرف كل شيء عن ذلك الكوكب الذي بدأ يقتنع بحقيقة أنه موجود فيه... أراد أن يعرف كيفية قدومه إليه وكيفية العودة منه إلى الأرض من جديد، إلى جانب سبل الحياة المختلفة على ظهره ومظاهر التقدم العلمي التي توصل إليها الناس عليه واختلافها عن كوكب الأرض، أراد أن يعرف كل شيء من باب اتخاذ الاحتياطات اللازمة لسلامته طوال الفترة التي سيستمر فيها على كوكب ريمتون، وكذلك فقد دفعه بعض الفضول الذي ينتابه لمعرفة بقية الأشياء الأخرى التي تخص الكوكب حتى لو لم تتعلق بسلامته خلال حياته فيه.

التقط هاتفه مرة أخرى وفتح محرك البحث **"google"** ثم أدخل عبارة " كوكب ريمتون " وضغط على زر البحث... ظهرت أمامه عدة نتائج، اختار تلك النتيجة المتعلقة بكوكب الأرض وعلاقته بكوكب ريمتون، ضغط على زر الدخول للصفحة وبدأ في القراءة...

تجاوزبعض السطور ثم توقف عند تلك الجزئية التي تتحدث عن النسخة الأرضية من كل شخص موجود على ظهر كوكب ريمتون، قرأها بتمعن فكانت كالتالي...

" اكتشف العلماء قبل عدة أعوام حقيقة مخيفة، فقد اتضح أن لكل واحد منا -هنا على كوكب ريمتون- نسخة أرضية مماثلة له تماماً، يحيا نفس حياته بكل ما فيها ولديه دائرة معارف من حوله ممثالة تماماً للأشخاص المقربون له هنا... غير أنهم متأخرون عنا علمياً بعض الشيء، وهذا ما يصنع بالضرورة اختلافاً في بعض الأحداث الحياتية التي يمر بها الشخص هنا والتي قد لا تتشابه مع ما يمر به نسخته الأرضية.

أما عن مكمن الخطورة الوحيد فيتمثل في إمكانية حدوث كارثة في حالة لقاء أي شخص من كوكب ريمتون بنسخته الأرضية، يحدث تلاشي للطرفين على الفور ويتحولا إلى رماد.

هذا السبب تحديداً هو ما تسبب في منع السفر إلى كوكب الأرض وتجريمه سوى بشروط خاصة مقيدة وتصريح مسبق مخصص لذلك الشأن، ومن يخالف ذلك يعرض نفسه لعقوبة كبيرة ورادعة، لأنك لا تقتل نفسك فقط

بذلك الفعل وإنما تتسبب كذلك في مقتل إنسان آخر لا علاقة له بما تقدم عليه بسبب طيشك.

وبسبب ندرة السفر إلى كوكب الأرض وتلك الخطورة الشديدة المترتبة عليه لم يعرف سكان الأرض أي شيء عن كوكبنا أو النسخ المطابقة لهم الموجودة عليه حتى الآن، ولم يجرؤ العلماء على محاولة التواصل معهم في ذلك الشأن خوفاً من محاولتهم الوصول إلينا في يوم من الأيام حين يطورون من تقدمهم في مجال الفضاء والفلك، مما سيعود بالضرر علينا وعليهم على حد سواء.

أغلق يوسف الهاتف وقد ألم بالأمور كلها وأصبح مدركاً تماماً لحقيقة كل ما يحدث من حوله، وأصبح الأمر واضحاً بما لا يدع أي مجال للشك، وانجلت تماماً كل المشكلات والأمور الملتبسة من حياته، وأصبح عليه فقط أن يتخذ قراراً فيما ينبغي فعله على هذا الكوكب الغريب ومع كل تلك المخاطر المحيطة به.

فكر يوسف في استكمال حياته على هذا الكوكب وعدم الاكتراث لأي شيء... فذلك الرجل الذي كان يخشى أن يتم اختطافه من قبل ذلك الطبيب وإخضاعه لجراحة قد تؤدي لهلاكه اتضح أنه ليس والده، والفتاة التي التقى بها

وظن أنها رفيقة روحه و فرصة حياته التي لا تعوض اتضح أنها ليست الفتاة نفسها التي زارته في أحلامه لمرات كثيرة، وذلك الشخص الآخر الذي يشترك معه في اسمه والذي تسعى لوسيندا لإنقاذه لا يعني له شيئاً، بل إن لقائه به قد يؤدي لهلاك كليهما... فلا يوجد دافع واحد يمكن أن يجعل يوسف يتخذ قراراً بالتدخل لإنقاذ الأمور.

وكيف تجرؤ تلك الفتاة على مثل ذلك الطلب من يوسف وهي التي تسببت في تدمير حياته مرتين من قبل بسبب أنانيتها... مرة حين أوهمته بالحب ليكتشف بعد ذلك خداعها ويتلقى صدمة موجعة في مشاعره، ومرة أخرى حين أحضرته إلى هنا وأقحمته في كل تلك المشاكل مخاطرة بحياته... فكيف يدور ببالها أن يوسف يمكن أن يوافق على التدخل لإنقاذ حبيبها المختطف!

ترك يوسف كل ذلك وعاد لمرسمه، رتب لوحاته وألوانه التي هجرها منذ فترة طويلة وبدأ في الرسم من جديد... عادت فتاته الجميلة للظهور بملامحها الفاتنة في لوحاته من جديد، رسمها يوسف لعدة مرات متتالية في وقت قصير، بأزياء مختلفة تماماً وتعبيرات وجه تفيض بالبهجة وعدم الإكتراث لأي شيء مقلق أو محزن في الدنيا... كأن

تعبيرات وجهها تعكس ما يدور بوجدان يوسف تلك الليلة بعدما اتضحت لديه الرؤية وحسمت الأمور في كل ما كان يقلقه ويشغل باله طوال الفترة الماضية بكل ما حدث فيها.

عبرت كذلك علامات وجه الفتاة باللوحات عن جدية يوسف في التخلي عن الفتاة صاحبة الرسالة وحبيبها ومشكلاتهما مع ذلك الطبيب، كان من الواضح في اللوحات أن كل شيء قد حسم وأن يوسف قد قرر بالفعل مواصلة حياته هنا على ذلك الكوكب خالي البال لا يشغل عقله بأي شيء ولا ينوي العودة مطلقاً للأرض مرة أخرى!

انتهى يوسف من لوحاته أخيراً وألقى نظرة أخيرة لها ثم توجه مباشرة للنوم... لم تمضِ به عدة دقائق بعدها على سريره حتى أحس ببعض الجلبة من خلفه... نهض بسرعةٍ من فراشه متوجهاً بعينيه نحو مصدر الصوت فلم يجد أحداً، لكنه عثر على ورقةٍ غريبةٍ ملقاةٍ على كرسيٍ بجوار السرير، التقطها بسرعة وأضاء النور ثم بدأ بالقراءة.

كانت الورقة عبارة عن رسالةٍ ما مقتضبة الكلمات، لكنها مخضبة بالدماء من كل جانب، مما استدعى فزع يوسف

وتركيزه الشديد في كل كلمة يقرأها من كلمات الرسالة، كان محتوى الورقة كالتالي...

" إن كنت قد تخليت عني مرة وتجاهلت إشاراتي العديدة وذهبت معها فلا تتجاهلني هذه المرة، فلعلها تكون الاستغاثة الأخيرة... ألقاك عند ذلك البئر عند باب المنزل"

لم يفهم يوسف أي شيء مما تقصده الرسالة ولم يعرف عن أي بئر تتحدث وهو الذي يحفظ محيط منزله جيداً ويعلم تماماً عدم وجود أية آبار حوله، لكنه خرج من غرفته وفتح باب المنزل لتحدث بعدها المفاجأة!

عثر يوسف بالفعل على بئر كلاسيكي المنظر، لم يره من قبل سوى في أفلام العصور الوسطى، محفور في الأرض مباشرة أمام باب بيته... لم يهتم كثيراً للظلام من حوله ولم تُرِعْهُ الدماء الموجودة على الورقة فتمنعه من المضي قدماً في طريقه نحو البئر بقدر ما تملكه الفضول وألح عليه لمعرفة كل شيء عن الرسالة والبئر وذلك الرابط الغريب بينهما.

تابع يوسف المسير حتى وصل إلى حافة البئر، تأمل بناية المكان من حوله وحاول النظر إلى الأسفل نحو قاع البئر

لكن الليل كان يغطي كل ركن في المكان بعبائته السوداء شديدة الظلمة مما حال بينه وبين إدراك ما يدور بالداخل.
استخدم يوسف إضاءة هاتفه ووجهها نحو قاع البئر ثم انحنى برأسه نحو الداخل محاولاً رؤية ما يحدث داخله، لكنه على ما يبدو كان قد انحنى أكثر من اللازم فسقط مباشرة في القاع!
نهض يوسف في فزعٍ متحاملاً على آلامه جراء السقوط... تحسس بيده في الأرض بحثاً عن هاتفه وسط ذلك الظلام المخيم على المشهد من حوله في كل مكان... لكن أثناء بحثه وبغرابة شديدة أمسكت يده بجسم تمنى لو أن التفسيرات التي اجتهد عقله في إمداده بها حول ماهيته كانت جميعها خاطئة، فدفء ملمسه وتكوينه أشبه ما يكون بذراع أو ساق تنتمي لشخصٍ ما!
فزع يوسف بشدة وأسرع في البحث بيده عن الهاتف في الاتجاه الآخر حتى عثر عليه أخيراً وأضاءه بسرعة ملوحاً به باتجاه ذلك الشيء الذي قام بلمسه للتو قبل عدة لحظات... و بأعجوبة شديدة اتضح أن ذلك الشيء لم يكن سوى لوسيندا، ملقاة على الأرض بجروح متفرقة في

ذراعيها وساقيها ووجهها! ... تبكي بشدة في حالة من الضعف والإعياء الشديدين.

ارتاع يوسف كثيراً من المشهد، لكنه استجمع شتات عقله بعدها وبدأ يمسك بلوسيندا ويعدل من وضعية جسدها الملقى على الأرض... أسند ظهرها إلى جدار البئر وبدأ في الحديث معها ليفهم حقيقة ما يحدث...

- ما بك لوسيندا؟ ما الذي جاء بك إلى هنا؟ ... وما سر تلك الرسالة العجيبة والجروح المتفرقة بجسدك؟ ... وأي بئرهذا؟ من قام بحفره أمام بيتي؟

استمرت لوسيندا في البكاء بحرقةٍ شديدةٍ دون أن تجب على أيٍّ من تساؤلات يوسف الذي انفعل بشدة هذه المرة أثناء حديثه إليها...

- كفي عن هذا أيتها الفتاة... لا أريد مزيداً من الخداع... أجيبيني عن تساؤلاتي الآن.

تنهدت لوسيندا متوقفة عن البكاء بصعوبةٍ بالغةٍ ثم أجابت بكلماتٍ تتخللها بعض العبرات التي لم تتمكن الفتاة من كتمانها لوقت أطول فعادت للانهمار من جديد بينما تتحدث...

- لم أخدعك مرة واحدة منذ التقينا بالمرة الأولى يوسف... أنت من قمت بخيانتي مع تلك الفتاة الأخرى التي تشبهني متجاهلاً نداءاتي الكثيرة وعبراتي.
تعجب يوسف من قولها، لكنه فسر المشهد كله على أنّه محض خدعة جديدة تتبعها لوسيندا لتحمله على الموافقة على مساعدتها في إنقاذ معشوقها المختطف، فتجاهل دموعها وعاد للرد بقسوةٍ...
- لم أخدعك ولم أخنك، وإنما خنت معك أنت رفيقة أحلامي التي لا تعوض، حين ظننت أنكما الشخص نفسه.
- أنا هي رفيقة أحلامك التي تعترف أنت بخيانتك لها مع الفتاة الأخرى! ... لكن على الرغم من ذلك كله فإنني لم آتي لك اليوم سوى لأخبرك أن تلك الفتاة في أمس الحاجة لمساعدتك وأنها فعلاً كانت مضطرة لفعل كل ما فعلت... عليك أن تساعدها يوسف.

- تظنين أن الحيلة قد انطلت عليّ بكل تلك البساطة؟ ... وكيف لرفيقة أحلامي أن تأتيني في عالم الواقع وفي ذلك الكوكب البعيد عن الأرض؟

لم تتفوه الفتاة بكلمةٍ واحدةٍ وإنما بدلاً من ذلك مدت يديها نحو يوسف حتى التقطت يداه، وهنا سرى دفء لوسيندا -الذي يحفظه يوسف جيداً-بسائر جسده وتخلله للداخل حتى لمس روحه، فاستكان قلب يوسف وهدأت ثورته وتأكد أن من أمامه هي ملهمته الجميلة التي تملك وحدها دون غيرها مفاتيح قلبه بالدرجة التي تجعل لها وحدها القدرة على تفتيت همومه مهما بلغت صلابتها والتهدئة من روعه مهما بلغت شدة ثورته.

وبعد عدة لحظات من الصمت أجابت لوسيندا على سؤاله الأخير...

- لأنك الآن في عالم الأحلام يوسف! ... أنت من جئتني، لست أنا من جئتك.

وقبل أن يبدأ يوسف في محاولة فهم عبارتها الأخيرة استيقظ من نومه فجأة إثر صوت عصافير الصباح بينما الشمس تزحف بأشعتها على سريره شيئاً فشيئاً قادمة من النافذة... بحث يوسف عن الورقة المخضبة بالدماء التي تحوي رسالة لوسيندا بداخلها على الكرسي وفي كل مكان آخر بالغرفة فلم يجدها، فاقتنع أخيراً أن كل ما مر به للتو قبل عدة لحظات لم يكن سوى أحد أحلامه الغريبة التي

كانت قد توقفت عن زيارته لفترة ثم عادت من جديد تلك الليلة.

عاد يوسف للهموم من جديد بعدما كان قد تخلص منها، عاد لحيرته وأفكاره التي لا تنتهي... لا يدري حقاً ماذا عليه أن يفعل، هل يأخذ ذلك الحلم بجدية ويعتبره إشارة مقصودة جاءته في ذلك التوقيت تحديداً لتخبره بما عليه فعله، أم يعتبر أن ذلك لم يكن سوى شيئاً من أضغاث الأحلام التي لا فائدة منها ولا معنى لها وبالتالي يترك هذا كله ويستمر في حياته دون أن يهتم بأحد.

لكن ربما تلك اللمسة الأخيرة ليد لوسيندا كان لها مفعول السحر في تذكيره بأن فشله في إيجاد رفيقة أحلامه في المرة الأولى لا يعني بالضرورة عدم وجودها في عالم الواقع وعدم احتمالية لقائهما فيما بعد، ولعل ذلك وحده هو ما بإمكانه أن يحمل يوسف على العدول عن فكرة قضاء بقية حياته على ظهر ذلك الكوكب ويوقظ عقله المنغمس في الهروب من الواقع إلى تلك الحياة الخالية من الهموم على ذلك الكوكب البعيد، غير واعٍ بضرورة عودته لكوكب الأرض.

استقر يوسف في النهاية على أن القرار الأخير في شأن ما يجب فعله ينصب في كفة مساعدة لوسيندا الموجودة على ظهر هذا الكوكب على استعادة خطيبها من جديد... لكنه أجّلَ البدء في تنفيذ ذلك لعدة أيام أخرى يقضيها في منزله كما حدث خلال الأيام الماضية تماماً.

غير أن يوسف كان على موعد مع حلم جديد هذه الليلة جعله يعجل من تنفيذ قراره الأخير بشأن مساعدة الفتاة وخطيبها... إنهما والداه! ... جاءاه في المنام برسالة معاتبة يلومانه فيها بشأن غيابه كل هذه المدة وتفريطه في العودة إلى كوكب الأرض ملوحاً في ذلك بعلاقته بوالديه وعائلته عرض الحائط.

رأى في البداية والده مكبلاً بقيودٍ من حديدٍ بينما يبكي ناظراً ليوسف بعينيه غير قادر على الكلام... هرع إليه يحاول إغاثته غير أن حائلاً زجاجياً ظهر في اللحظة الأخيرة بينه وبين والده منعه من الوصول إليه... تأمل يوسف الحائل الزجاجي فوجد لافتة ملتصقة به في الأعلى مكتوب عليها بخطٍ واضحٍ "حدود كوكب ريمتون".

استمر يوسف في محاولاته لتجاوز الحائل الزجاجي لكن دون جدوى، وأثناء ذلك تنامى لأسماعه صوت بكاءٍ

قادمٍ من غرفته، فترك والده وأسرع نحو مكان الصوت... وهناك رأى أمه واقفة أمام سريره تقبل ملابسه و تبكي في مشهد غاية في الغرابة... أسرع يوسف نحوها محاولاً احتضانها أو إثنائها عن صنيعها الغريب لكنه و بغرابة شديدة لم يتمكن من لمسها! ... كانت يده تتخللها كأنها سراب في كل مرة يحاول فيها لمسها... حتى كل محاولاته لجعلها تراه باءت في النهاية بالفشل، فهي لا تراه ولا تسمعه ولا يمكنها لمسه ولا تشعر حتى بوجوده.

جُنَّ جنون يوسف وبدأ في الصراخ والنداء عليها بصوتٍ عالٍ ليلفت انتباهها لكن باءت كل محاولاته بالفشل من جديد ليستيقظ في النهاية من نومه على إثر إحدى صرخاته المدوية ويكتشف أنه ما يزال في غرفته ممدداً على سريره.

ساهم ذلك الحلم بصورةٍ كبيرةٍ في حمل يوسف على التعجيل في مساعدة لوسيندا والبدء بشكلٍ فعلي في التخطيط لمواجهة ذلك الطبيب المجرم وتخليص نسخته المختطف من بين يديه، والتفكير في الطريقة المناسبة لحماية والده من الوقوع في أيدي ذلك الوحش البشري.

هاتف يوسف لوسيندا ليعلمها بموافقته على مساعدتها فأجابت على الفور...

- مرحبا لوسيندا... كيف حالك؟

- مرحبا يوسف... بخير حال... كنت أظنك لن تتصل أبداً.

- لكي أكون صريحاً معك كنت أنوي عدم المساعدة بالفعل، لكني قررت في النهاية أن أفعل ما تقتضي المروءة فعله في مثل هذه المواقف... دعينا نلتقي اليوم ونتفق على ما يجب فعله.

- شكراً لك على أية حال.

اتفق يوسف مع لوسيندا على أن يلتقيا بأحد المقاهي بحلول الساعة الرابعة عصراً، وفي المكان والزمان المحددين كان يوسف جالساً أمام لوسيندا وأمامهما بعض المشروبات على المنضدة...

- أريد منك الآن سرد ملخص الأحاديث التي دارت بينك وبين خطيبك في الأيام الأخيرة قبل اختطافه والتي تتعلق بأية حوارات دارت بينه وبين الدكتور وليد سراج.

- في الواقع لم يتحدث معي كثيراً حول ذلك الشأن... كان كل ما أخبرني به في الآونة الأخيرة حديثاً مقتضباً عن

مكالمة أجراها معه ذلك الطبيب حاول فيها إغرائه بمبلغ كبير من المال ليوافق على إجراء جراحة يتم فيها استبدال الكلى الاصطناعية الموجودة بجسد والده بواحدة حقيقية بسبب رغبته في إجراء بعض الاختبارات على تلك الكلى الاصطناعية بعد فترة من بداية عملها بجسم الإنسان، لكنه رفض وعنف ذلك الطبيب بشدة.

- كانت تلك هي المكالمة الوحيدة بينهما إذاً قبل اختطافه؟

- لا بل تلتها مكالمة أخرى قام فيها الدكتور وليد بتهديده بالخطف والتعذيب أو القتل، ومنحه فرصة أخيرة للرضوخ لما يريد، وأخبره كذلك أن والده ليس الشخص الأول الذي طلب منه ذلك الطلب وأن من رفض طلبه من هؤلاء عرض نفسه لما لا يحمد عقباه وندم أشد الندم.

- هل تحدث معك خطيبك من قبل عن هؤلاء الضحايا الآخرين؟ ... هل ذكر لك أيّ شيءٍ بخصوص ثلاثة أشخاص آخرين من المرضى السابقين للدكتور وليد يواجهون مشكلة والده نفسها؟

- بالفعل تحدث معي عن ذلك، لكنه لم يذكر لي أية تفاصيل أخرى بخصوصهم.

- وماذا عن الدكتور وليد سراج... متى التقيت به لأول مرة وما الاتفاق الذي جرى بينكما بشأن قدومك إلى الأرض وإحضاري... أخبريني كل شيء عن ذلك الموضوع على وجه الخصوص.

- عندما اختفى خطيبي فجأة عرفت أن ذلك الطبيب قد نفذ تهديداته فجن جنوني وذهبت لعيادته... طلبت منه أن يتركه وتوسلت إليه كثيراً لكنه رفض ذلك واشترط أولاً أن يقوم بإرسالي لكوكب الأرض لاستغلال الرابطة الروحية التي تجمع بيني وبين خطيبي وبالضرورة تجمع بينك وبين نسختي الأرضية في خداعك وايهامك بحبي لك من أجل إحضارك إلى هنا لتقنع والد يوسف بإجراء الجراحة، وقام هو بتقمص دور والدي ليتمكن من التأثير عليك بشكل أسهل.

- وهل لاحظت شيئاً مريباً أثناء وجودك بالعيادة أو سمعت صوتاً يمكن أن يدل على وجود خطيبك هناك في مكان ما من عدمه؟

- لست متأكدة... لكن أثناء بكائي وتوسلاتي خيل إليّ أنني سمعت صوت خطيبي داخل عقلي... يصرخ منادياً عليّ بصوتٍ مكتوم، لكني سكتت قليلاً لأنصت فلم يصل

لأذني أي صوت فعرفت أنّها مجرد أوهام بسبب قلقي عليه واشتياقي له.

- هل تعرضت لضغوط أخرى من ذلك الطبيب منذ ذلك اليوم؟

- بالفعل حدث ذلك عدة مرات... لعلك لاحظت إصراري الشديد على سفر الدكتور وليد ووالد خطيبي معنا للإسكندرية، ولعلك لاحظت محاولاتي العديدة لإيهامك بضعف ذاكرتك في العديد من المواقف... إلى جانب محاولة إقناعك بوفاة والد خطيبي منذ عدة سنوات حين تم اختطافه وحاولت أنت البحث عنه... كل تلك الأمور وغيرها تمت بضغط شديد من الدكتور وليد وتهديده بإيذاء وقتل خطيبي، كنت أتألم في كل مرة أقدم فيها على فعل ذلك لكني كنت مضطرة مرغمة على ذلك كله.

- هل تحدث إليك بعدما انكشف أمرك أمامي بعد اختطاف والد خطيبك في الأزمة الأخيرة؟

- لا لم يتحدث إليّ مطلقاً بعدها... ربما أدرك أنّني أصبحت ورقة محترقة لن يتمكن من استخدامها مرة أخرى.

- ممتاز... إذاً تلك هي نقطة البداية التي يمكننا الانطلاق من عندها.

- وكيف يمكن أن يتحقق ذلك؟

- اسمعي لوسيندا... الدكتور وليد لم يتحدث إليك بسبب افتراضه لمقاطعتي لك بعدما انكشفت خديعتك عقب العثور على والد خطيبك بالعيادة... وهي ذاتها النقطة التي سنقوم باستغلالها لصالحنا.

ستقومين بالاتصال به من جديد لتسألينه عن سبب توقفه عن امدادك بالتعليمات اللازمة للإيقاع بي وحملي على الموافقة على إجراء الجراحة لوالد يوسف، سيتفاجأ هو حين تخبرينه أنك لم تقومي بتنفيذ تعليماته الأخيرة بشأن محاولة إقناعي بوفاة الوالد قبل عدة سنوات وما يتعلق بفقداني الذاكرة بخصوص ذلك الأمر بسبب شعورك بمعرفتي لموضوع الاختطاف، سيحاول هو بالتالي استغلالك من جديد لحملي على الموافقة على إجراء الوالد لتلك الجراحة... سأتظاهر أنا بدوري هذه المرة بالاقتناع بالجراحة ثم أبدأ في المماطلة لكسب المزيد من الوقت محاولاً التعرف على أية معلومات يمكن أن تفيد في معرفة مكان خطيبك المختطف.

- خطة محكمة فعلاً يا يوسف... لكنها على قدر إحكامها فإنها في المقابل شديدة الخطورة، فأي خطوة خاطئة أو غير محسوبة قد تؤدي لإنكشاف أوراقنا مما قد يعود بالأذى عليك أو عليّ أو على خطيبي أو حتى على والده.

- بالفعل لا يمكنني إغفال جانب الخطورة من المشهد، لكنها الفرصة الوحيدة المتاحة أمامنا، كما أن الخطورة المترتبة على التخلي عن تلك الخطة لا تقل خطورة أيضاً عن المغامرة بتنفيذها... علينا فقط توخي الحذر وعدم التسرع في اتخاذ أي خطوة دون دراستها، ويجب كذلك أن نبقى على اتصال بشكلٍ مستمرٍ.

أنهى الرفيقان لقاءهما في عجالة كما بدأ واتفقا على البدء في تنفيذ الخطة بمجرد أن يتفرقا... وهو ما فعلته لوسيندا حين هاتفت الدكتور وليد بمجرد مغادرتها ليوسف، وبالفعل ابتلع الطبيب الطعم ورحب بعودة لوسيندا لمساعدته من جديد.

انتظرت لوسيندا بعدها لعدة أيام ليقتنع الطبيب تماماً أنها تحاول التأثير على يوسف للموافقة على إجراء والده للجراحة ثم اتصلت به من جديد بعدها لتخبره أن المعجزة التي يسعى هو لإنجازها قد تحققت بالفعل ووافق

يوسف من حيث المبدأ على إجراء الجراحة لكنه اشترط أن يجلس معه الدكتور وليد أولاً ليوضح له كل التفاصيل الخاصة بها، على أن يتأجل إجراؤها حتى يعود يوسف من السفر الذي سيقوم به لإنجاز بعض الصفقات الهامة في العمل.

وافق الطبيب على كافة شروط يوسف فرحاً غير مصدقٍ لوصوله لتلك النتيجة التي لم يكن يحلم بها، خاصة بعد تأزم الأمور وكشف يوسف لتحايله في الفترة الأخيرة.

وهنا تحققت ليوسف أول خطوة من خطوات خطته المحكمة التي وضعها بعناية للإيقاع بذلك الطبيب المخادع والتعرف على مكان نسخته وإنقاذه.

التقى يوسف بالدكتور وليد في عيادته أخيراً... تناقشا حول كل شيء يتعلق بالجراحة ومدى النفع الذي ينتج عنها والخطورة التي تترتب عليها وتأثيرها المباشر وبعيد المدى على صحة والده وحياته، واتفقا في النهاية على إجرائها بعد عدة أسابيع عقب عودة يوسف من السفر...

شكر يوسف الدكتور وليد على سعة صدره وصافحه مستعداً للانصراف ثم فتح الباب وتجاوزه نحو الخارج.

لكن طرفاً ثالثاً كان قد حضر اللقاء الذي جمع بين يوسف والدكتور وليد واستمع إلى كل ما دار فيه... حاول الصراخ من جديد حين استمع إلى ذلك الجزء من حديث يوسف المتعلق بإجراء الجراحة لوالده لكن صوته لم يعبر تلك المسافة في القبو ويمر عبر فتحته حتى يصل للأعلى، وبالتالي لم يبلغ صراخه أذني يوسف كما لم يبلغ من قبل أذني لوسيندا حينما كانت جالسة تتوسل للدكتور وليد ليفرج عن خطيبها المختطف.

كان نسخة يوسف إذاً في قبو عيادة الطبيب طوال تلك المدة، مكبل في مكان موحش عازل للصوت عمن خارجه... يقع باب ذلك القبو في مكان سري يصعب اكتشافها سوى من خلال من يعرفه جيداً، وبالتالي أصبح ذلك الشخص المختطف وحياته بأكملها تحت رحمة ذلك المجرم بشكلٍ كلي.

غادر يوسف باب حجرة الكشف نحو الخارج وأغلق الباب من خلفه في طريقه نحو الخروج من باب العيادة، لكنه لم يغادر العيادة على الفور مثلما اعتقد الدكتور وليد، وإنما أخرج قلماً وورقة صغيرة من جيبه كتب كلمات مقتضبة

ثم ألقاها على مكتب مساعد الطبيب الجالس بالخارج وغادر على الفور بعدها!

جلس يوسف وحده بأحد المقاهي عند الساعة الثامنة مساء ينظر لساعته مرة أو مرتين كل دقيقة... على ما يبدو فقد كان تلك الليلة على موعدٍ مع شخص ما سيجمعه به لقاء في غاية الأهمية.

بعد عدة دقائق أخرى حضر إلى المقهى شخص ما كان يوسف قد التقى به ذلك الصباح في عيادة الدكتور وليد... إنه "الأستاذ منتصر" مساعد الدكتور وليد وسكرتيره الخاص، حضر إلى المقهى بعدما قرأ الكلمات التي كتبها يوسف في الورقة التي ألقاها على مكتبه...

" أريدك في عملٍ إضافي براتب مجزي جداً... قابلني بمقهى " سكويز " عند نهاية الشارع في تمام الساعة الثامنة مساءً... لا تخبر الدكتور وليد بأي شيء "

كانت تلك الكلمات القليلة كفيلة بإحضار الأستاذ منصور لمقابلة يوسف، وجرت الأمور كما رتب لها تماماً.

رحب يوسف بالأستاذ منتصر وأمر له بفنجان من القهوة... كان الحديث هادئاً رتيباً في البداية، غير أن

الأستاذ منتصر بدا متلهفاً لمعرفة التفاصيل فقاطع مقدمة يوسف الطويلة مطالباً له بالدخول في الموضوع مباشرة...

- عفواً أستاذ يوسف... ليس لدي الكثير من الوقت... هلّا دخلت في الموضوع الذي أحضرتني من أجله مباشرة؟

ابتسم يوسف ابتسامة خبيثة توحي بإدراكه أن خطته قد نجحت وأن الأستاذ منتصر قد ابتلع الطعم بالكامل وبدأ لعابه يسيل على الأموال التي قصد يوسف إغرائه بها ليأتي إليه مسرعاً...

- على رسلك أستاذ منتصر... لن أضيع الكثير من وقتك... أولاً دعنا نتفق على المبلغ ثم أخبرك بعدها عن كل ما أريده منك بالتفصيل.

- عن أي مبلغ تتحدث وماذا تريد مني؟ ... ألم تحضرني إلى هنا لاستلام وظيفة جديدة لفترة مسائية؟

- إذا أردت أن تعتبرها وظيفة فلتكن إذاً... لا مشكلة، لكنها ستكون الوظيفة الأسهل على الإطلاق.

- أستاذ يوسف... هل يمكنك أن تكف عن المقدمات والتشويق وتخبرني مباشرة بتفاصيل الموضوع؟

- مائة ألف جنيهاً! ستحصل على نصف المبلغ اليوم والنصف الآخر حين تنفذ ما سأطلبه منك الآن...

بالإضافة إلى ثلاثة آلاف أخرى كراتبٍ شهري لتصبح وظيفة كما أردت، على أن تنفذ دوماً ما سأطلبه منك لاحقاً إذا لزم الأمر.

لمعت عينا الرجل وتورد وجهه في علامة واضحة تشير إلى قبوله العرض أيّاً كان ما سيطلبه يوسف... وهنا استغل يوسف ذلك وبدأ يستعرض طلبه للأستاذ منتصر من دون قلق...

- لدي شركة تسويق خاصة، أبرمت من خلالها في الأيام الأخيرة عقداً مع شركة أدوية كبرى تسعى لتوقيع عقد شراكة طويل الأمد مع الدكتور وليد سراج باعتباره أحد أشهر الأطباء في تخصصه... لكنها تريد في البداية حصر بعض البيانات الخاصة بالمرضى المترددين على عيادة الدكتور وليد في الآونة الأخيرة وعدد المرضى الذين أجرى لهم الدكتور وليد جراحة من أي نوع وبيناتهم.

كل ما أريده منك هو أن تمدني غداً بالبيانات الخاصة بآخر أربعة جراحات زراعة كلى اصطناعية قام بها الدكتور وليد وبيانات المرضى وعناوينهم وهواتفهم الخاصة... أريد منك أن تقوم بجمع هذه المعلومات عن طريق الحاسوب الخاص بالعيادة على أن تمدني بها في

أسرع وقتٍ ممكن... لكن أهم شيء يجب ألا تنساه هو أن الدكتور وليد يجب ألا يعرف أي شيء عن اتفاقنا هذا وإلا فستتوقف تلك الأموال على الفور.

مرت الليلة بهدوء دون أية مشكلات وجاء الصباح من جديد... استيقظ يوسف في الثامنة صباحاً وتفحّص هاتفه فوجد رسالة من الأستاذ منتصر تحتوي على جميع البيانات الخاصة بالمرضى الأربعة وكل ما يخص عنوان السكن الخاص بهم وأرقام الهواتف الخاصة كما طلب يوسف منه تماماً.

شعر يوسف بانتصارٍ مؤقتٍ يضفي مناخاً من الأمل بالنجاح في تنفيذ الخطة على الأجواء من حوله ويعزز من ثقته بنفسه وقدرته على إتمام الخطة بجميع مراحلها وخطواتها حتى النهاية، لكنّه سرعان ما توقف عن الاحتفال وبدأ مباشرة في التجهيز للخطوة التالية.

استعرض يوسف رسالة الدكتور منتصر من جديد واختار أول اسم من القائمة المرسلة... فكانت بياناته كالتالي...

"إبراهيم السمان " ... ٥٧ سنة ... تاجر.

تأمل يوسف رقم هاتفه وعنوانه ثم اتصل به على الفور فأجابت سيدة في منتصف العمر -كما يتضح من صوتها- وكان مضمون المكالمة كالتالي...

مرحباً... هل أستطيع التحدث إلى الحاج إبراهيم؟

- من المتصل؟

- أنا أحد أصدقائه القدامى، عدت من السفر للتو بعد عدة سنوات بالغربة وأريد لقائه من أجل أمرٍ هامٍ.

- أنا زوجته... الحاج إبراهيم مختفي منذ فترة ولا نعرف عنه أي شيء.

- حقاً؟ ... كيف حدث هذا! ... أنا آسف جداً لذلك... هل يمكن أن أقوم بزيارتكم للحديث حول أمرٍ هامٍ يخص الحاج إبراهيم؟

- بالطبع... هل تعرف شيئاً عن مكانه؟

- ليس بالضبط... سأشرح لك الأمر بالتفصيل حالما نلتقي.

على الفور غادر يوسف منزله في طريقه نحو منزل الحاج إبراهيم... استقبلته زوجته بلهفةٍ لمعرفة أي معلومة جديدة قد تساعدها في العثور على زوجها المختفي منذ

مدة... بعد تبادل الترحاب بدأ يوسف حديثه حول الموضوع الذي جاء من أجله...

- منذ متى تحديداً اختفى الحاج إبراهيم؟ ... أخبريني عن آخر مكالمة جرت بينكما قبلها وآخر الأشخاص الذين تحدث هو إليهم في الآونة الأخيرة قبل اختفائه؟

ولماذا تسألني عن تلك المعلومات؟ ... من أنت وماذا تريد تحديداً؟

- لا داعي للقلق... أنا أعلم بعض المعلومات والأفراد الذين قد يساهمون في التعرف على مكانه... لكن أرجو أن تتعاوني معي لأتمكن من تحقيق ذلك... فقط أجيبيني على تساؤلاتي رجاء.

- حسناً لا بأس... في الأيام الأخيرة السابقة لاختفائه تحدَّثَ إليه ذلك الطبيب الذي كان قد أجرى له جراحة زراعة الكلى قبلها بعدة أسابيع، أخبره في تلك المكالمة أنه يعتقد أنه قام بارتكاب خطأ ما خلال الخطوات الأخيرة للجراحة مما سيؤثر بلا شك على صحته خلال الأيام القادمة، وأنه يرغب في إجراء جراحة مماثلة لتصحيح الخطأ... لكن الحاج إبراهيم كان لا يقتنع بسهولة بأي شيء، بالإضافة إلى بغضه الشديد لزيارة الأطباء لتلك

الدرجة التي تجعله لا يزور طبيباً إلا عندما تتدهور صحته بشكلٍ كبيرٍ بحيث تتهدد حياته... مما دفعه للمماطلة في تلك الخطوة، وبخاصة أنّه لا يشعر بوجود أية مشكلة.

دفع ذلك الدكتور وليد لاتخاذ خطوة أخرى لتشجيعه على إجراء الجراحة فقام بدعوته لتناول الغداء بأحد المطاعم... عاد الحاج إبراهيم بعدها للبيت بوجه بشوش لا يعاني من أي شيء، غير أن الأمور قد تغيرت تماماً في الصباح التالي.

استيقظ الحاج إبراهيم صارخاً في الصباح يشكو من وجود ألم غير محتمل في الكلى... قام ابنه علي بنقله على الفور لعيادة الدكتور وليد الذي قرر بعد فحصه ضرورة إجراء الجراحة على الفور وطلب من علي سرعة التوجه إلى الصيدلية لشراء بعض المستلزمات الطبية اللازمة للجراحة... وعند عودة علي تفاجأ بعدم وجود والده بالعيادة!

أخبره الطبيب أن والده كف عن الصراخ وهدأ بمجرد حقنه بمادة مسكنة، ليصر بعدها على عدم إجراء الجراحة

ويغادر العيادة مباشرة دون الالتفات لتحذيراته بخطورة ذلك، ثم اختفى بعدها ولم يظهر من يومها.

تفاجيء يوسف مما سمع ولم يصدق ذلك الكم من السذاجة الذي يمتليء به حديث تلك المرأة البسيطة فقاطعها متعجباً...

- لكن كيف صدق علي الطبيب فيما يقول بتلك البساطة! ... ألم يشك للحظة في احتمالية خداع الطبيب له وكذبه في كل ما قاله؟

- الدكتور وليد سراج أشهر طبيب على الإطلاق في القاهرة بأكملها... أنى لرجل مثله أن يكذب؟ ... بالإضافة لقيامه بإجراء الجراحة للحاج إبراهيم من قبل وإنقاذ حياته فكيف لمن فعل ذلك أن يتسبب في أي ضرر له؟ ... كذلك لا يمكن إغفال حقيقة أن الحاج إبراهيم يكره الذهاب للأطباء ويرفض إجراء أية جراحة سوى بعد إلحاح مستميت من الجميع، وبالتالي صدقنا جميعاً الدكتور وليد في كل ما قاله وبحثنا عن الحاج إبراهيم في كل مكان دون جدوى... لم يعد إلينا حتى اليوم.

طلب يوسف من المرأة أن يلتقي بابنها "علي" ليطرح عليه بعض الأسئلة قبل أن يغادر... لكنه لم تختلف روايته

كثيراً عن رواية أمه باستثناء إجابته على ذلك السؤال الأخير الذي قام يوسف بطرحه في النهاية...

- عندما عدت للعيادة من جديد ذلك اليوم قبل أن تكتشف عدم وجود والدك، هل لاحظت حينها أي تغير طرأ في شكل العيادة أو الديكور أو ما إلى ذلك؟؟

- لا أذكر شيئاً من ذلك... كل ما شغل بالي حينها هو اختفاء والدي وكيفية البحث عنه.

سكت علي فجأة كما لو تذكر شيئاً جديداً ثم أردف بسرعةٍ...

- آه... نعم تذكرت... عند دخولي من باب غرفة الكشف تعثرت قدمي فجأة بتلك السجادة الحمراء المنثنية عدة ثنيات متتالية عند باب الغرفة وكدت أسقط أرضاً لكني استعدت توازني من جديد في آخر لحظة... نظرت بعدها للأرض فلاحظت أن تلك السجادة الحمراء كانت قد انطوت عدة طويات وأبعدت عن وسط الغرفة بعدما كانت مفرودة بشكلٍ كاملٍ في البداية، وحينما لاحظ الطبيب تعثري في السجادة أخبرني أن السبب في انثنائها يعود لهروب والدي من العيادة راكضاً بعدما حاول هو منعه من المغادرة قبل إجراء الجراحة خوفاً على صحته.

استرجع يوسف على الفور زيارته الأخيرة لعيادة الدكتور وليد وتذكر وجود سجادة حمراء كبيرة مفرودة بوسط الغرفة بالفعل... وهنا حاول التفكير في سبب منطقي يمكن أن يؤدي لانثنائها لكنه لم يستطع تفسير ذلك فصنف هذا كله في النهاية كأحد المعلومات غير المهمة ولم يشغل تفكيره به كثيراً في النهاية.

استأذن يوسف للمغادرة معاهداً علي وأمه على الاستمرار في البحث عن رب البيت المختفي حتى يجده.

عاد يوسف من جديد إلى قائمة المرضى الأربعة ليختار منها اسماً جديداً يبدأ في تقصي المعلومات حول الدكتور وليد من خلاله... إذا ما استبعدنا الحاج إبراهيم ووالد يوسف يتبقى لدينا إذاً شخصان آخران يقعان تحت دائرة اهتمام ذلك الطبيب خلال رحلة بحثه عن الكلى الاصطناعية صاحبة الرقم الفائز.

كان أحدهما هو الأستاذ صلاح عزالدين، ٤١ سنة، ويعمل مدرساً... أما الآخر كان المهندس أحمد سليمان ٣٥ سنة...

قرر يوسف الذهاب مباشرة لمنزل الأستاذ صلاح عزالدين ليتناقش معه حول الموضوع ذاته.

لكن وبمجرد وصول يوسف للمنزل فوجئ بقصة اختفاء للأستاذ صلاح عزالدين مشابهة تماماً لقصة اختفاء الحاج إبراهيم، لكن الفارق هذه المرة كان في شكوك أسرته في تورط الدكتور وليد سراج في ذلك الاختفاء المريب لعائلهم الوحيد وقاموا بإبلاغ الشرطة التي ألقت القبض على الدكتور وليد في البداية قبل أن تعود لتطلق سراحه وتقيد المحضر ضد " مجهول " بسبب عدم كفاية الأدلة!

كانت تلك إذاً هي المرة الأولى التي يطلق فيها سراح ذلك الطبيب بعد ارتكابه لجريمة بسبب عدم كفاية الأدلة، قبل أن يحدث الأمر نفسه للمرة الثانية عقب اختطافه لوالد يوسف ومن ثم إلقاء القبض عليه وإطلاق سراحه بعدها لنفس السبب.

إذاً كانت هذه عقبة أخرى أمام يوسف تضاف إلى عقبة عدم معرفته لمكان احتجاز الضحايا... وبالتالي بات عليه أن يوجد دليلاً يمكن تقديمه للشرطة لتكون القضية محكمة عقب اكتشافه لمكان احتجاز الضحايا.

غادر يوسف منزل الأستاذ صلاح متوجهاً لمنزل المريض الأخير... المهندس أحمد سليمان... وعلى عكس ما توقع

يوسف، فقد كان المهندس أحمد سليمان موجوداً بمنزله ولم يتم اختطافه أو اختفائه كالضحايا الآخرين، وهنا كانت فرصة يوسف مواتية لتقصي المعلومات من مصدرها وعلى نطاق أوسع وبشكل أدق.

عرَّفَ يوسف المهندس أحمد بنفسه في البداية وبدأ في التطرق لموضوع الزيارة رويداً رويداً أثناء حديثه، وعندما لمس تجاوباً في ذات الموضوع من قبل المهندس أحمد بدأ يوسف في الحديث باستفاضة أكبر ودون قلق من رد فعله...

- هل يمكنك أن تحدثني عن كل ما حدث بينك وبين الدكتور وليد في هذا الشأن؟

- بالتأكيد... حاول الدكتور وليد في البداية إقناعي بحدوث خطأ أثناء العملية وبضرورة إجراء جراحة أخرى لتعديل مشكلات الجراحة الأولى... رفضت الفكرة كلياً في البداية، ثم عاد الدكتور وليد لدعوتي لتناول طعام الغداء بأحد المطاعم، فلبيت الدعوة على الفور... حاول خلال تناول الغداء إقناعي بأهمية إجراء الجراحة وتحذيري من

عواقب التأخر في إجرائها... تظاهرت بالاقتناع لكني أخفيت بداخلي عدم نيتي على اتخاذ تلك الخطوة.

لكن وبعد عودتي للمنزل شعرت بتعبٍ غريبٍ وألم في الكلى... توجهت مباشرة للصيدلية المجاورة للمنزل وتناولت دواء مسكناً وتوجهت بعدها مباشرة لعيادة الدكتور وليد... وصفت له الحالة فأخبرني بضرورة إجراء الجراحة في ذلك اليوم بشكلٍ عاجلٍ فوافقت على الفور لخوفي من تفاقم الحالة.

أخبرني الدكتور وليد بعدها بقيامه باستقدام جهاز متطور يساعد على إجراء الجراحة في وقت أقصر و بدقة أكبر، و أخبرني كذلك عن غرفة العمليات الجديدة الخاصة بعيادته... وعندما فتح باب غرفة العمليات كانت مفاجأة كبيرة بالنسبة لي... فالباب يقع في أرضية الغرفة في مكان سري ويتم فتحه للأعلى ومن ثم النزول على السلم و المرور عبر سرداب طويل تحت الأرض ينتهي بالغرفة.

لم أمانع في النزول برفقته للأسفل رغم غرابة الموقف وشعوري بشيءٍ من الرهبة وعدم الارتياح... لكن ما إن

بدأت بالنزول حتى شعرت بفقدان التوازن وبدأت في الدخول في حالة تشبه فقدان الوعي فانتبهت لما يحدث وقررت المغادرة على الفور والفرار بحياتي!

فعند بداية النزول إلى الأسفل عبر السلم المؤدي للسرداب السفلي أخبرني الدكتور وليد بسوء التهوية الموجودة بالأسفل والرائحة الكريهة التي يمتلئ بها السرداب المؤدي للغرفة، وأعطاني كمامة لأغطي بها وجهي لتوفير بعض الوقاية من الرائحة الكريهة.

وبمجرد هبوط السلم وبداية دخولي للسرداب شعرت ببداية فقدان الوعي فقمت ففطنت لما يحدث وقمت على الفور بانتزاع الكمامة والهروب بأقصى سرعة نحو الأعلى باتجاه الخروج من الباب العلوي ومن ثم مغادرة العيادة بشكلٍ كلي.

- وما كان ذلك الشيء الذي تتحدث عن أنك فكنت إليه فقررت الهروب ؟

- تلك الكمامة التي أعطاها لي الدكتور وليد... كانت مشبعة بالبنج بحيث تتسبب في ففداني للوعي بعد فترة قصيرة من نزولي للأسفل.

- وما السبب وراء ذلك حسبما تعتقد؟

- لا أعرف لكني أظن أنني كنت على وشك التعرض لجريمة ما بشكل متعمد.

- هل قمت بإبلاغ الشرطة ؟

- لا لم أفعل... استشرت العديد من الناس الذين يعرفون ذلك الطبيب معرفة دقيقة فنصحوني بعدم الإقدام على تلك الخطوة بسبب عدم جدواها لعلاقاته الوطيدة بالكثير من المحامين المتخصصين في مثل ذلك النوع من القضايا، مما سيؤدي بالضرورة لعدم معاقبته بأي شيء وفي المقابل فبإمكان ذلك الطبيب إلحاق الضرر به عن طريق العلاقات الفاسدة و الرشاوي.

- وهل حاول الدكتور وليد التواصل معك بعدها لتهديدك أو تقديم أحد العروض المغرية لإجبارك على إجراء الجراحة؟

- بالفعل حدث ذلك بعدها أكثر من مرة، لكنني كنت أرفض باستمرار تهديداته وعروضه فيضيق صدره ويفقد أعصابه وينهي المكالمة ثم يعود لتهديدي من جديد بلا جدوى.

- وماذا عن تلك الآلام في الكلى التي شعرت بها وتوجهت بسببها لعيادة الدكتور وليد... هل اختفت بعد ذلك وحدها؟

- كانت قد توقفت بعد تناولي للدواء المسكن للآلام من الصيدلية، لكنها سرعان ما عادت من جديد بعد عودتي للمنزل، فقمت بزيارة طبيب آخر ليخبرني بأن السبب في ذلك يعود لتناولي جرعة مركزة من دواء يؤثر بشكل مباشر على الكلى، وهو الأمر الذي تعجبت منه بشدة بسبب عدم تذكري لتناول مثل ذلك الدواء في أي وقت سابق مما جعلني لا أستبعد تورط الدكتور وليد في دس ذلك العقار في طعام الغداء بطريقة ما.

تجمعت الخيوط أخيراً في رأس يوسف وأصبحت القضية شبه محسومة، ومكان الضحايا المختطفين صار معلوماً بنسبةٍ كبيرةٍ... لم يتبقَ بعدها فقط سوى البدء بتنفيذ

الخطوة الأخيرة لإنقاذ الضحايا والإيقاع بذلك الطبيب المجرم في قبضة العدالة.

لكن تلك الخطوة الأخيرة كانت تحتاج إلى الكثير من التأني واتخاذ كل التدابير واللازمة لمنع فشلها... ذلك أنها الخطوة الأهم في العملية كلها، وفشلها يؤدي بالضرورة إلى فشل العملية كلها وضياع كل شيء.

مكث يوسف عدة أيام في منزله لا يغادره أبداً من أجل وضع خطة محكمة لتنفيذ الخطوة الأخيرة من خطته وإنهاء تلك الأزمة بشكل كامل... بدأ في تجميع كل المعلومات التي وردت في حديث أهالي الضحايا الثلاثة المعرضين للاختطاف مع والد يوسف (نسخته) من قبل ذلك الطبيب... بدأ في الربط بين النقاط وبعضها باستخدام المنطق والأدلة المشتركة والشواهد المتكررة معهم جميعاً حتى استطاع في النهاية أن يصل إلى حقائق مؤكدة بشكلٍ نظري ووضع خطة متسلسلة وفق ترتيب محكم يعتمد بشكلٍ كليّ على تلك الحقائق التي توصل إليها.

من خلال المعلومات التي قام بجمعها توصل إلى وجود سجادة حمراء كبيرة بأرضية غرفة الكشف بالعيادة يختبئ تحتها مباشرة الباب المؤدي لسلم يقود إلى سرداب سفلي ينتهي بغرفة أخرى يحتجز فيها الطبيب ضحاياه.

فكر يوسف في اقتحام العيادة وفتح الباب السفلي ومن ثم إنقاذ المختطفين المتوقع وجودهم بالداخل، لكنه أراد أولاً أن يختار التوقيت المناسب للتنفيذ ليضمن عدم وجود الدكتور وليد هناك وقت الاقتحام.

فكر يوسف في الوقت المناسب الذي يفترض عدم وجود ذلك الطبيب في عيادته خلاله فلم يستقر على وقت محدد، ثم فطن إلى فكرة ما فالوقت هاتفه وبدأ في تنفيذها.

اتصل يوسف بالأستاذ منتصر من جديد دون أن يخبره بأية تفاصيل عن الخطة التي ينوي تنفيذها... لكنه ادعى رغبة شركة الأدوية في معرفة جدول مواعيد الدكتور وليد وموعد المؤتمرات الطبية المقبلة لترتيب مؤتمر طبي دولي كبير في ميونخ بحضور الدكتور وليد والعديد من كبار الأطباء في العالم.

وافق الأستاذ منتصر على الفور وقام بإرسال صورة لورقة تشمل كافة ارتباطات الدكتور وليد خلال الفترة المقبلة في رسالة خاصة عبر **messenger** ليوسف... شكره يوسف بشدة ووعده بالمزيد من الأموال جراء تعاونه معه.

تمكن يوسف إذاً من التعرف على كافة ارتباطات الدكتور وليد بدقة خلال الفترة المقبلة، واستغل ذلك في اختيار الوقت المناسب لاقتحام العيادة وإنقاذ الضحايا المختطفين... اختار يوماً معيناً بعينه كان جدول مواعيد الدكتور وليد يشير إلى سفره خلاله لحضور مؤتمر طبي هام خارج البلاد يستمر لثلاثة أيام بعده.

بدأ ذلك اختياراً موفقاً بشكلٍ كبيرٍ... فالدكتور وليد خارج العيادة لمدة أربعة أيام كاملة يمكث خلالهم الأستاذ منتصر بمنزله، وبالتالي فالعيادة خالية تماماً خلال تلك الفترة.

رتب يوسف كلَّ شيءٍ وأتت أخيراً ساعة الصفر لبدء تلك العملية الأخطر في حياته على الإطلاق... وخلال دقائق قليلة كان على بعد خطوات قليلة من نافذة العيادة في محيط المنزل الذي يحويها.

اقتحم النافذة وتوجه بخطواتٍ ثابتةٍ نحو غرفة الكشف... وجه إضاءة هاتفه نحو تلك السجادة الحمراء بأرضية الغرفة قبل أن يبعدها تماماً باتجاه جانب الغرفة، وهنا تأكد يوسف أن جميع تخميناته التي اعتمدت على رواية الضحايا وزويهم كانت كلها صحيحة بشكلٍ كاملٍ!

بابٌ سري يوجد في أرضية الغرفة تحت السجادة الحمراء مغلقٌ بإحكام ويتجه نحو الأعلى عند فتحه... تفاجأ يوسف كثيرة وتسارع نبض قلبه رغم توقعه لوجود ذلك كله، لكنه استجمع قواه في النهاية وتمكن من السيطرة على نفسه وبدأ في فتح الباب.

لم يستطع يوسف بعدها تذكر حقيقة ما حدث في تلك اللحظة تحديداً... فقط وجد نفسه فجأة محتجزاً داخل غرفة مغلقة يحيطها الظلام من كل جانب بينما يتسلل بعض الضوء الخافت من بين القضبان الموجودة أعلى باب الغرفة في مشهد يشبه زنزانة السجن.

كان آخر ما يتذكره يوسف هو شعوره بحركة خفيفة تشير لوجود شخص ما على مسافة قريبة خلفه ثم شعوره بضربةٍ قويةٍ بشيءٍ يشبه العصا على مؤخرة رأسه ثم لم يدر بعدها

بأي شيء منذ تلك اللحظة وحتى استيقاظه فجأة في تلك الغرفة المظلمة.

في الواقع لم يضع يوسف أبداً في اعتباره أن الأستاذ منتصر لن يطول كتمانه للسر وقتاً طويلاً حتى لو تلقى المال مقابل ذلك الكتمان، فقد كان يكن معزة كبيرة للدكتور وليد الذي عمل معه لسنواتٍ طوال... فكان في البداية يسرب بعض البيانات و المعلومات ليوسف مقابل المال... لكن هذه المرة ازدادت المعلومات المطلوبة خصوصية عن سابقتها ولم تملك المبررات المرفقة معها ذلك القدر الكافي لإقناعه بصدق يوسف فيما يقول، فاستشعر الأستاذ منتصر وجود مكيدة تدبر ضد الدكتور وليد فقرر إخباره بكل ما يحدث، وبالتالي تمكن ذلك الطبيب الداهية من تخمين توقيت اقتحام يوسف للعيادة ومن ثم الإيقاع به وإفساد خطته.

ربما لم يعلم يوسف حينها أن الدكتور وليد عندما منعه من المرور عبر ذلك الباب في أرضية غرفة الكشف قد أنقذه من موت محقق كان في الطريق إليه! ... فيوسف كان قد نسي تماماً ما قرأه بخصوص ما يحدث حين يلتقي أي

شخص أرضي بنسخته من كوكب ريمتون من حيث تلاشيهما بشكلٍ فوري وموت الاثنين مباشرة في نفس اللحظة.

جمع يوسف جميع النقاط الهامة واستخدمها في وضع الخطة لكنه نسي أن يضع في اعتباره نقطة هي الأهم على الإطلاق، تلك النقطة تتمثل في وجود يوسف الآخر - نسخته من كوكب ريمتون-بالأسفل داخل القبو، ونزوله عبر البوابة الموجودة بالأرض والتي تؤدي للسرداب السفلي الذي يقود في النهاية لغرفة الضحايا كان سيؤدي حتماً لهلاكه برفقة شبيهه حين يلتقيا معاً بالأسفل.

لكن رُبَّ ضارةٍ نافعة، فالأستاذ منتصر الذي أوشى بيوسف وتسبب في وقوعه بأيدي الدكتور وليد هو نفسه من أنقذ حياته بنفس الوشاية دون أن يتعمد ذلك... فقد فطن ذلك الطبيب الخبير للخطورة المتمثلة في احتجاز الشبيهين معاً في المكان ذاته والذي سيؤدي حتماً لهلاكهما، فقرر عزل يوسف وحده في غرفة منفصلة عن شبيهه، لا خوفاً عليهما وإنما لرغبته في الإبقاء عليهما أحياء فقط ليستخدمهما كورقتي ضغط يمكن أن يفيدا في جلب والد يوسف وإرغامه على إجراء الجراحة.

بالفعل بدأ الدكتور وليد في تنفيذ خطه بصورة أكثر جرأة ووضوحاً هذه المرة بعدما استنفد كل الطرق الأخرى الأكثر هدوء دون جدوى... اتصل الطبيب بوالد يوسف يخبره أنه قام باختطاف نجله وإخفائه في مكان لا يمكن لأحد الوصول إليه، وطلب منه إجراء الجراحة في مقابل إطلاق سراحه، وحذره من إمكانية تعرض حياته للخطر في حالة إبلاغه للشرطة.

فزع الأب كثيراً لما حدث لابنه الوحيد، وفي لحظة انقطاع تام للتفكير قرر أن ينفذ كافة طلبات الدكتور وليد مضحياً بنفسه في سبيل إنقاذ ثمرة فؤاده.

اتصلت أم يوسف بلوسيندا كحبل نجاة أخيرتتعلق به لإنقاذ ما يمكن إنقاذه قبل فوات الأوان... أخبرتها كل شيء مما حدث، من اختطاف الطبيب ليوسف وتهديده لوالده واضطرار والده في النهاية للذهاب لعيادة الطبيب والاستسلام لإجراء الجراحة.

لم تكن والدة يوسف تعلم أي شيء عما حدث حتى لاحظت غياب يوسف وأبيه عن المنزل، ثم عثرت على ورقة غريبة على سريره مضمونها كالآتي...

" عزيزتي الغالية... عشت عمراً طويلاً في هذه الدنيا الفانية، لكن أيامي فيها لم تحلُ إلا معكِ... أما وقد انطلقت صفارات قطار الرحيل الآن وباتت ساعاتي في الدنيا معدودة فأرجو منك أن تسامحيني على أي مرة أخطأت فيها بحقك ولم أعاملك فيها تلك المعاملة التي تليق بك... أنا ذاهب لعيادة الدكتور وليد سراج لإجراء الجراحة وإنقاذ ابننا المختطف ولست متأكداً من عودتي مرة أخرى... شكراً على كل شيء ودعيني أقول وداعاً. "

لم تكن لوسيندا هي الأخرى على علمٍ بتطورات الأحداث الأخيرة، فعلى الرغم من اتفاق يوسف معها على التواصل بشكل مستمر لتبادل تطورات الأحداث فيما بينهما، إلا أن انشغال يوسف بجمع المعلومات ووضع خطة التدخل لإنقاذ الضحايا حال بينه وبين البقاء على اتصال مستمر مع لوسيندا، وبالتالي لم يتنامَ إلى علمها أي شيء من التطورات الأخيرة بالأحداث.

زارت لوسيندا والدة يوسف بمنزلها عقب المكالمة التي جرت بينهما لتطمئنها وتشد من أزرها، وقبل أن تنصرف طلبت منها زيارة غرفة يوسف لمحاولة البحث عن أي معلومة قد تفيد في العثور على يوسف ونسخته ووالده.

دخلت لوسيندا الغرفة فوجدت الكثير من الفوضى في كل مكان، توجهت نحو المكتب فعثرت على دفتر ما موضوع عليه ففتحته بسرعة لتقرأ شيئاً من صفحاته.

كان الدفتر الذي وجدته لوسيندا هو الدفتر ذاته الذي عثر عليه يوسف من قبل في أحد الأدراج بغرفته وبداخله الكثير من الخواطر والذكريات المدونة بخطه والتي لم يعرف يوسف عنها شيئاً.

نست لوسيندا نفسها وغاصت بين صفحاته... تقرأ مذكرات خطيبها وتسترجع كل ذكرى منها عاشاها معاً فيما مضى... تتمنى لو توقف الزمن عند إحدى تلك الذكريات السعيدة ولم يعد للدوران بعدها أبداً.

استمرت في التنقل بين الصفحات حتى قادها الفضول للصفحة الأخيرة... وهنا عثرت لوسيندا على مفاجأة كبرى!

جميع المعلومات التي جمعها يوسف -النسخة الأرضية من خطيبها- من الضحايا وزويهم وكل تصوراته عن مكان احتجاز المختطفين وبنود خطته لإنقاذهم!

كل شيء مجمع بترتيب دقيق في آخر صفحات الدفتر... كانت تلك هدية لوسيندا الكبرى ومكافأتها على زيارة والدة يوسف للشد من أزرها.

على الفور أبلغت لوسيندا الشرطة وطلبت منهم التوجه للعيادة واقتحامها والقبض على الدكتور وليد سراج بعدما أعطتهم كافة التفاصيل عن المرضى المختطفين والمكان المحتمل احتجازهم فيه ويوسف ووالده والجراحة وكل شيء.

توجهت الشرطة للعيادة فعثرت بالفعل على والد يوسف مقيداً على سرير هناك وقد تم تجهيزه لإجراء الجراحة... بعدها تم العثور على الباب الموجود في الأرضية تحت الشجادة الحمراء، تماماً في المكان الذي وصفته لهم لوسيندا... وبعد اقتحام الباب وتفتيش المكان بالأسفل تم العثور على يوسف -خطيب لوسيندا-مقيداً وإلى جواره شخصين آخرين مقيدين بالطريقة نفسها!

ساهمت التحقيقات بعد ذلك في اعتراف الدكتور وليد بجريمته بشكلٍ كاملٍ حين تأكد من عدم وجود أي فرصة له في النجاة هذه المرة، وأرشد كذلك على مكان احتجاز يوسف -النسخة الأرضية-وبالتالي تم إنقاذه.

انتشرت القضية بجميع وسائل الإعلام على اختلاف نوعها وتم حل المشكلة بشكل نهائي... قامت الشرطة بعدها بإ صدار تصريح رسمي غير مشروط بأيّ قيود ليوسف بالسفر لكوكب الأرض المحرم على سكان كوكب ريمتون جميعاً.

في المكان والزمان المحددين للسفر تقدمت لوسيندا نحو يوسف لتوديعه...

- ستعود إذاً لكوكبك؟

- نعم مع الأسف لابد من تلك الخطوة.

- تشرفت كثيراً بمعرفتك... بالتأكيد سأروي لأبنائي وأحفادي في المستقبل الكثير عن تلك القصة... هل تعتقد أنهم سيصدقون واقعيتها؟

- لست أدري... حتى الآن أنا نفسي لا أعرف هل كان ذلك كله حلماً أم حقيقة... سأحتاج للكثير من الوقت لاستيعاب كل ما جرى... على أية حال شكراً لك على كل شيء.

اعتذرت لوسيندا من يوسف على توريطه في كل هذا من البداية وبررت ذلك باضطرارها وعدم قدرتها على الرفض فتقبل يوسف اعتذراها ثم تصافحا للمرة الأخيرة قبل أن

ينصرف يوسف إلى الماكينة التي ستحوله عبر نوع من الذبذبات الخاصة إلى كوكب الأرض في ثوانٍ معدودة.

توقفت لوسيندا قبل أن تنصرف وأخرجت رسالة مطوية من حقيبتها، أعطها ليوسف وطلبت منه ألا يقوم بفتحها وقراءة محتواها قبل وصوله لكوكب الأرض.

في غمضة عين استفاق يوسف فجأة ليجد نفسه مستلقياً على ظهره على نفس الكرسي الخشبي الذي باغتته عليه الإغماءة الغريبة عندما كان جالساً عليه بالحديقة بجوار لوسيندا... لكنه لم يجدها بجواره هذه المرة، وإنما وجد بدلاً منها عيون الناس تتفحصه من الأعلى وقد احتشدوا جميعاً من أنحاء الحديقة للاطمئنان عليه عندما سقط أمامهم على الكرسي فاقداً للوعي.

نهض بعدها من على الكرسي فاطمأن الناس على سلامته وانفضوا من حوله... علم يوسف أنه قد أصيب للتو بإغماءة ثانية مشابهة تماماً للإغماءة الأولى مع اختلاف وحيد يكمن في احتفاظ ذاكرته بكل شيء حدث قبل الإغماءة على عكس المرة السابقة.

تيقن يوسف من عودته لكوكب الأرض فتذكر الورقة المطوية التي أهدتها إليه لوسيندا فوضع يده بجيبه وأخرجها ثم بدأ في القراءة.

على عكس ما كان يتوقع يوسف لم تكن الورقة رسالة من لوسيندا تشكره فيها على مجهوداته وتعاونه معاها، وإنما كانت رسالة من شخص آخر لم يره يوسف أبداً طوال حياته، ومع ذلك فهو يدين ليوسف بالفضل في إنقاذ حياته! ... إنه يوسف الآخر -نسخته من كوكب ريمتون- أرسل إليه رسالة مع لوسيندا لاستحالة حدوث أي لقاء بينهما، وكان مضمونها كالتالي...

" عزيزي يوسف... كم كنت أتمنى لو كان بإمكاننا أن نلتقي ولو مرة واحدة بالعمر فأحتضنك بشدة وأشكرك على كل ما فعلت، لكن مع الأسف فإن ذلك مستحيل... أتمنى لك حياة سعيدة على الأرض ولتقبل اعتذاري نيابة عن لوسيندا عن كل ما حدث.

يوسف -نسختك على كوكب ريمتون-"

تنفس يوسف الصعداء وعلت وجهه ابتسامة هادئة ثم مضى لمنزله، ليكتشف أن والديه قد فزعا كثيراً من

اختفائه وقاما بإبلاغ الشرطة ونشر صورته في الكثير من الجرائد وفي كل مكان عبر مواقع التواصل الاجتماعي!
فرح والداه كثيراً بعودته وعزما على إقامة احتفال من نوع خاص بمناسبة رجوع نجلهما الوحيد سالماً بعد اختفائه لشهرٍ كاملٍ.
اطمأنت الأم على ابنها ثم أخبرته أن الفضل في الشد من أزرها وبث روح الأمل فيها طوال تلك المدة يعود لتلك الفتاة التي استمرت في زيارتها كل يوم خلال فترة غيابه لتساعدها وتطمئنها على اقتراب عودته... وهنا اندهش يوسف مما قالته أمه فقاطعها مستفسراً...
- عن أي فتاة تتحدثين أمي؟
- لا أعلم يوسف... ظهرت فجأة عقب اختفائك وأخبرتنا أنها جارتنا التي تسكن البناية المجاورة في نفس المنطقة السكنية، وأنها رأت صورتك التي قمنا بنشرها عبر مواقع التواصل الاجتماعي وشعرت أنها تعرفك لكنها لا تذكر تحديداً أين ولا متى التقت بك من قبل... وعندما قرأت العنوان واكتفشت بالصدفة أنها جارتنا قررت زيارتنا للاطمئنان علينا والشد من أزرنا من يومها وحتى عودتك اليوم.

لم ينتظر يوسف كثيراً ليتحقق من صحة ذلك الشك الذي تردد بقوة داخله... طلب من أمه أن تتصل بها وترتب لقاء بينهما بأحد الأماكن العامة.

توجه يوسف للمكان مبكراً وبدأ في النظر لساعته، ومرت الدقائق بطيئة ثقيلة على إحساسه حتى ظهرت أخيراً الفتاة من بعيد وتأكد هو من صحة شكوكه!

يا لعجائب القدر... إنها لوسيندا!! ... أو النسخة الأرضية منها على الأحرى!

نبض قلبه فجأة نبضات مدوية ومستمرة كاد يتوقف على إثرها حين أدرك أنه لم يخطئها هذه المرة، إنها حبيبته ورفيقة أحلامه والابنة الشرعية لروحه والوريثة الوحيدة لعمره والشريكة الدائمة لحياته، اقتربت منه ثم صافحته وجلست أمامه على المنضدة فتسللت رائحتها إلى داخله وسرى دفء يديها عبر جسده كله فتيقن حينها أنها رفيقة الأحلام نفسها من دون أدنى شك.

وقبل أن تنطق بأي كلمة بادرها يوسف بالكلام ...

- لوسيندا؟

- من الواضح أن والدتك قد أخبرتك بكل شيء عني.

- في الواقع لم تخبرني أمي باسمك أبداً.

- وكيف عرفت اسمي إذاً؟

- موضوع يطول شرحه سأخبرك به في نهاية حديثي... لكني أستطيع أولاً أن أخبرك أنك ما جئت للاطمئنان على حالة أمي سوى لشعورك بوجود شيء من الإلفة الغريبة بيننا بمجرد رؤيتك للصورة التي تعلن عن اختفائي وقراءتك للاسم، مع عدم قدرتك على تذكر أين أو متى التقينا من قبل.

- بالفعل... هذا ما حدث معي بالضبط... هل التقينا بالفعل من قبل؟ ... هل جمع بيننا طوال السنوات الماضية أي شيء لا أذكره؟

- ربما لم يجمع بيننا أي لقاء على أرض الواقع من قبل... لكن أرواحنا كانت على اتصال دائم طوال تلك المدة منذ ميلادنا حتى رتبت ذلك اللقاء بيننا.

- وكيف عرفت ذلك؟

- في الحقيقة فكرت من قبل في ألف طريقة أساعد بها عقلك - حين نلتقي في الواقع - على استيعاب ذلك الأمر الخارق المتمثل في رؤيتي لك في أحلامي لمرات عديدة قبل لقائنا ومعرفتي التامة بكل شيء عنك لكني لم أكن حينها أدرك أن تلك اللحظة حين تأتي سيكون شرح ذلك

الأمر هو أسهل ما يمكن شرحه وتصديقه مقارنة بالغرائب الأخرى التي حدثت بعده.

قص يوسف على مسامع لوسيندا كل ما حدث معه وأراها صوراً لها من رسومه على الهاتف... وعند هذه اللحظة تحديداً بدأت حياة يوسف الحقيقية وانتهى ذلك العمرالآخر الضائع الذي رفضت " أم كلثوم " من قبل إضافته إلى عمرها حين تحدثت عن حياة الحبيبين قبل أن يلتقيا وتجتمع روحاهما معاً.

اجتمعت روحين آخرين إذاً من الأرواح المتآلفة التي تشتت وتناثرت مبتعدة عن بعضها في مكانٍ ما من هذا العالم الواسع، بينما فشلت أرواح أخرى في العثور على رفيقتها الوحيدة التي بإمكانها أن تتناغم معها ليعزفا معاً مقطوعتهما الخاصة في عزفٍ موحدٍ ونغمةٍ مشتركةٍ، فارتضت بأرواح أخرى تجمعها بها إما مصالح مشتركة أو ارتياح أو قبول أو رغبة في عدم البقاء وحيدة في الحياة... بينما بقيت أرواح أخرى وحيدة فقط لأنها لم تعثر بعد على تلك الروح الوحيدة التي بإمكانها أن تعزف مقطوعتها ففضلت الوحدة على أن ترافق روحاً أخرى غريبة عنها، حتى لو جمعتها بها مصلحة مشتركة أو أعجبتها صفة ما

فيها، لكنها تبقى في النهاية روح أخرى غريبة عنها تختلف عن تلك الوحيدة التي بإمكانها أن ترافقها وتخوض معها معركة الحياة.

تمت بعون الله

****

جميع حقوق النشر الورقي
و الإلكتروني محفوظة للناشر